الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب و اللغات

قسم اللغة والأدب العربي

المرجع.....

الطبيعة في شعر أبي ماضي
ديوان الجداول نموذجا

مذكّرة مقدمة لنيل شهادة اللّيسانس، في اللّغة والأدب العربي.

تخصص: أدب عربي.

إعداد الطلبة

* دنيا كيروم
* حنان مشيتوة

إشراف الأستاذ:

* عبد الحفيظ بورايو

السّنة الجامعية:2013/2012

الإهـــداء

أهدي ثمرة جهدي إليكما يا أعز ما أملك. إليك يا من وهبتني كل الدفء والحنان والأمل والأمان.

إلى من علمتني معنى الحياة وأسرارها وزرعت في قلبي المبادئ والقيم السامية يا من سقيتني من ينبوع حبك وأشبعتني من فيض حنانها إلى أحن وأغلى وأطيب إنسانة في هذا الوجود.

إليك أمي

إلى أعز إنسان كافح من أجل تعليمي، إلا من وهبني الأمل ومدني بالإصرار والعزيمة، إليك يا من رسمت طريقي، ومن كنت وتكون قدوتي ومثلي الأعلى في مسيرة الحياة.

إليك أبي.

إلى أختي وصديقتي وكاتمة أسراري وابنة أمي وأبي إيمان.

إلى من قضيت طفولتي معهم وترعرعت بين أحضانهم:

عبد الهادي – أحمد – عادل.

إلى جدي وجدتي أطال الله عمريهما.

إلى عماتي وخالاتي وأولادهم كل باسمه.

إليك يا من كنت أمي الثانية يا أغلى ما عندي خالتي فايزة وأبنائها أسماء، أياد، آدم.

إلى عائلتي الثانية طيلة السنوات الثلاثة، زليخة، نورة، حنان، رانة، حميدة.

إلى رفيقاتي وصديقاتي وكل من يعرف **"دنيا"**.

إلى أختي وصديقتي وشريكتي ومساعدتي في هذه المذكرة "حنان".

كما لا أنسى كل أساتذتي من السنة الأولى ابتدائي إلى السنة الثالثة جامعي.

دنيا كيروم

الإهـــــداء

"أن نحلم فهذا شيء جميل جدا، أما الأجمل فهو أن نعمل من أجل تحقيق هذا الحلم".
وهذا العمل هو حلمي الذي حققته وثمرة جهد سنين طويلة من الدراسة عشتها بحلوها ومرّها، بنجاحها وفشلها، بإصرار كبير من أجل الوصول إلى الهدف، وأخيرا وبتوفيق من ربي وفضله علي وحث والدي وصبره علي وسند إخوتي ومساعدة صديقاتي وتوجيه أساتذتي، نتج هذا العمل الذي أهديه إلى كل من أحببتهم.

إليك يا من وهبتني كل الدفء والحنان والأمل والأمان، أنت التي زرعت في قلبي الطمأنينة والتسامح وحرص دائما على نجاحي إليك يا أمي، لا أرى نور السعادة إلا في فجر ابتسامتها.

"أمي الحبيبة"

إليك يا من رسمت طريقي، وعلمتني أن الحياة مثابرة واجتهاد وكنت دائما شمعة تضيء دربي وتدعمني لأواصل.

أنت الذي حرص دائما أن ننشأ صالحين، إليك يا من لا أرى لذة العيش إلا بجواره، إليك يا اعظم وأكرم وأشرف مناضل في هذا الوجود.

"أبي العزيز"

إلى الذين نشأت بينهم في بيت واحد كما تنشأ الزهور المتعانقة في مغرس واحد إلى إخوتي الأحباء: فؤاد، جلال، أحلام، كنزة، نسيبة.

إلى روح أختي الغالية "سماح" التي غمرتني بحبها وأخلاقها المتميزة، فكان فراقها مرا، لكن الأحباء والأعزاء لا يموتون بمجرد دفنهم، بل يموتون عند نسيانهم ونحن لن ننساك أبدا.

"فلا شيء يعزيني عنك بعد فراقك حبيبتي "سماح" إلا الإيمان بقضاء الله وقدره".

إلى التي أهداها القدر لي لترافقني كل فرح وألم، فكانت البلسم الشافي والنسمة العليلة في حياتي ... إلى رمز الرقة والعذوبة ... إلى من عرفت معها الحب والإخلاص والصداقة الحقيقية ... إلى زميلتي التي شاركتني في إنجاز هذه المذكرة .. إليك "دنيـا".

ودمت حبيبتي أحلى وردة.

إلى كل صديقاتي اللواتي تركن في قلبي أجمل الذكريات وعشت ذات يوم في جوارهن أحلى اللحظات:

نورة، زليخة، أمينة، منار، رقية، ياسمينة.

إلى كل الذين عرفوني وأحبوني ومازال حبهم لي نابضا بقلوبهم ... إلى كل من ترك ذكرى سعيدة عطرة ينفرج قلبي بتذكرها.

كما لا أنسى أستاذي المحترم الذي أشكره جزيل الشكر على نصائحه.

"عبد الحفيظ بورايو".

مشيتوة حـنـــان

الدعاء

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا و زدنا علما

اللهم نسألك علما نافعا و زرقا طيبا و عملا متقبلا

يا رب إذا أعطيتنا نجاحا فلا تأخذ تواضعنا و إذا أعطيتنا تواضعا فلا تأخذ اعتزازنا بكرامتنا ، وإذا أسأنا يا رب إلى الناس فامنحنا شجاعة العفو

اللهم لا تجعلنا نصاب بالغرور إذا نجحنا و لا باليأس إذا فشلنا بل ذكرنا دائما أن الفشل هو التجربة التي تسبق النجاح

اللهم أغننا بالعلم وزدنا بالحلم وأكرمنا بالتقوى وجملنا بالعافية

اللهم ..... من الثقة إلا بك و من الأمل إلا فيك و من التسليم إلا بك و من التوكل إلا عليك و من الرضا إلا عنك ومن الطلب إلا منك و من الذل إلا في طاعتك ومن الصبر إلا ما على بابك من الرجاء إلا ما في يديك الكريمتين ومن الرهبة إلا لجلالك العظيم

اللهم سربنا في سرب النجابة ووفقنا للتوبة و الغنابة وافتح لأدعيتنا أبواب الإجابة يا من له يقول لشيء كن فيكون

اللهم إنا نسألك بالجليل من منزلته و الحبيب في مرتبته و بكل مخلص في طاعته إن توفقنا و تغفر لنا فأوزعنا الله أن نشكر نعمتك التي أنعمت علينا و أن نعمل صالحا ترضاه .

آمين

شكر و تقدير

بسم الله الرحمان الرحيم

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾

صدق الله العظيم

نحمد الله و نشكره الذي وفقنا لإتمام هذا العمل المتواضع و الحمد لله و الصلاة و السلام على رسوله الكريم الذي بعثه الله للناس و أمره بـ " إقرأ "

نتقدم بخالص الشكر و فائق الإحترام و التقدير إلى الأستاذ المحترم **" بورايو عبد الحفيظ "** الذي لم يبخل علينا و أعاننا بقدر الإمكان بتوجيهاته و ملاحظاته الدقيقة و القيمة

كما نشكر كل ما ساعدنا من قريب أو من بعيد

و بفضل الله تعالى و بفضل من ذكرنا و كذلك تعاوننا تم إنجاز هذا العمل الذي نتمنى أن يثري و لو بالقليل الرصيد المعرفي، لمن يطلع عليه.

شكرا

بارك الله فيكم

و جزآكم الجنة

دنيا حنان

خطــة البحث

مقدمة

المدخل- الشعر الرومانسي المهجري

I) الفصل الأول: الطبيعة في الشعر العربي

01) الطبيعة في الشعر القديم.

02) الطبيعة في الشعر العربي الحديث.

03) شعر الطبيعة لدى شعراء المهجر.

II) الفصل الثاني: إيليا أبو ماضي والطبيعة في شعره

01) مدخل في عصر أبي ماضي

02) لمحة في حياته

03) تعريف شعر الطبيعة

04) شعر الطبيعة عند أبي ماض.

05) نماذج من شعره في الطبيعة.

06) الترابط والتوافق بين الطبيعة ونفسيته

III) الفصل الثالث: دراسة فنية: في ديوان الخمائل .

01) اللغة، الموسيقى، الصورة، الشعر.

02) خاتمة

مقدمة

هام الشعراء بحب الطبيعة والارتماء في أحضانها، لا سيما في أوقات الشدة والضيق لأنها السبيل الوحيد الذي يفرغون فيه إحساساتهم ويجدون فيه راحتهم، غير أن لكل شاعر نظرته وموقفه الخاص اتجاهها. فإذا كان الشاعر الجاهلي يتخذها وسيلة لتصوير بيئته فهذه النظرة تختلف عن نظرة الشاعر في العصر الحديث ولا سيما عند شعراء المهجر عموما وأبي ماضي خصوصا.

هذا الشاعر الذي هام بالطبيعة فأيقظها من سباتها العميق، أيقضها من أعز وأحلى لحظة نوم ليسرق منها أسرارها المكنونة، فقد عرف الأدباء والشعراء في الأدب العربي وصف الطبيعة منذ القدم، واشتهر كثيرون منهم بوصفها كامرئ القيس وبن الرومي وذي الرمة، وغيرهم. واستمدوا منها تشبيهاتهم وتعابيرهم.

والشاعر المهجري إيليا أبو ماضي أحد المبدعين الكبار الذين هاموا بالطبيعة وهامت بهم!!، لقد أحببنا هذا الشاعر كثيرا وتأثرنا بدعوته إلى التفاؤل والاستمتاع بكل جميل في الحياة حتى تشعر بالسعادة الحقيقية، لذلك قررنا أن نغوص في أعماقه ونعرف المزيد عن حياته وإبداعاته، والوقوف عند جمال الطبيعة وتجسيدها في شعره، فهذا الشاعر يعتبر من رواد هذا النوع من الشعر..

ولقد انتهجنا في بحثنا هذا خطة كانت قوامها: مقدمة، ثم مدخل تحدثنا فيه عن الشعر الرومانسي المهجري وأهم خاصية فيه وهي الطبيعة. وثلاثة فصول، تناولنا في الأول الطبيعة في الشعر العربي وفيه تطرقنا إلى: الطبيعة في الشعر العربي القديم، الطبيعة في الشعر العربي الحديث، شعر الطبيعة لدى شعراء المهجر. أما في الفصل الثاني فتحدثنا عن إيليا أبي ماضي والطبيعة في شعره وفيه مدخل حول عصر أبي ماضي، ولمحة في حياته ثم تعريف شعر الطبيعة، وقوله لشعر الطبيعة، وتحدثنا عن الترابط والتوافق بين الطبيعة ونفسية الشاعر وأنهينا هذا المدخل بنماذج من شعره في الطبيعة. وفي الفصل الثالث وهو عبارة عن دراسة فنية لبعض قصائده من ديوان الجداول وقع عليها اختيارنا لتجلي عنصر الطبيعة فيها.

وأنهينا عملنا هذا بخاتمة قدمنا فيها حوصلة لأهم النتائج التي توصلنا إليها، وقد اعتمدنا منهجا تحليليا فنيا وهو ما اقتضته طبيعة الموضوع، مستخدمين مجموعة من المصادر والمراجع وبعض المذكرات التي خدمت موضوعنا.

وأثناء إنجازنا لهذا الموضوع لم نلاق صعوبات من حيث الخطة، ولا من حيث المصادر والمراجع.

ولا يفوتنا في الأخير أن نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف الذي أعطانا حرية اختيار الموضوع، ولم يبخل علينا في تقديم المعلومة وإعطاء النصائح والإرشادات.

وكذلك كل من ساهم في إعطاء يد العون.

المدخل

الشعر الرومانسي المهجري وأهم خاصية فيه "الطبيعة"

يرى أصحاب المدرسة الرومانسية أن الطبيعة أمهم الحنون، يبثون من خلالها أحزانهم وآلامهم. كذلك ارتمى شعراء المهجر في أحضانها كنتيجة طبيعية لتأثرهم بالمدرسة الرومانسية وأعلامها. ولقد غزت الألفاظ الرومانسية شعر أدباء المهجر، فتأثروا في التأمل والتساؤل بكثير من فلاسفة الشرق والغرب كأبي العلاء وديكارت، فراحوا يتساءلون عن النفس، ويتأملون في خوالجها وخباياها وحاولوا إدراك الطبيعة وما وراءها ، وإسرار الحياة والخلود والفناء[1].

ولقد كانت الطبيعة وما زالت بكل ما فيها من جمال رائع أخاذ الملهم الأول للشعراء سواء في العصر الجاهلي أو فيما تلاه من العصور تقدم لهم المادة الأولية لتشكيل قصائدهم، وقد برع كثيرون منهم في تناولهم لجماليات الطبيعة، وكان لكل واحد منهم طريقته الخاصة في وصف المشهد. بعضهم كان يقدمه جزئيا حتى يصل إلى تشكيل صورة فنية متكاملة ضمن إطار حسي ومادي كالشعر القديم، وبعضهم كان يندمج مع الطبيعة بأحاسيسه وخلجات نفسه مستخدما في تصويره للمشهد الجمالي الطبيعي أدوات فنية كالقصة والحكاية كشعراء المهجر وكأن الشاعر يود أن يخلق رابطا مشتركا ما بين الطبيعة والإنسان، وهذا ما نراه في وصف الشاعر شكر الله لشلال تيجوكا[2].

أحقاً أتتك بجنح الدجى
من الغاب جنيّة ساحره
وكنت قديماً سحابة صيف
تمر بغاباتها عابرة
لذا حولتك إلى جدول
لكي تستحم بك الماكره
فصرت وساماً بصدر الربيع
وصرت حلياً بجيد الحقول
تردد منذ قديم الدهور
صدى نغماتك كل الفصول

فالشاعر لم يتطرق إلى تصوير المشهد الجمالي جزئية، وإنما قدمه من خلال حلم شعري جميل امتزجت فيه الحقيقة بالخيال مستخدماً فنية القصة أو عنصر الحكاية

[1] حسن، جاد الله، الأدب العربي في المهجر، دار قطري بن الفجاءة، قطر، 5د ط- 1985م، ص 387.
[2] أنس داود: الطبيعة في شعر المهجر. "منشورة في صحيفة العروبة" في 23 نوفمبر 2010.

إنّ مشاهد الطبية لدى الشاعر المهجري كانت مقدسة وهذه القدسية تولدت نتيجة حياة الغربة التي عاشها بعيداً عن أرضه وعن دياره بحثاً عن رزقه، لذلك كان يحسب أنه أخ للأشجار والأنهار والوديان وابناً من أبناء الطبيعة يسترخي بين ذراعيها فيشعر انه ولد من جديد، فتعود إليه طفولته التي يحلم بها.

يقول القروي في قصيدته «الولادة الجديدة» :

إذا الشمس يا أم لاحت هتفت
هتاف الغريب رأى الموطنا
وقبلت غرتها بالبنان
وطوقت بالساعدين الهنا
كذلك كنت أمد يدي
إلى النار طفلاً، أطفل أنا؟
وإذ يكفهّر جبين السماء
وتسكب أجفانها الدمع طلا
وتنشر فوق الرؤوس المظلات
لم أرض غير السحابة ظلا
كذا كنت أعشق خوض الجداول
طفلاً ،فهل عدت ياأم طفلاً
فأسمعني الطير عند الصباح
جواب الطبيعة لي تنشد
بني ولدتك طفلاً جديداً
فقل للرفاق الألى تعهد
لقد ملأ الأرض أولادكم
وأنتم إلى الآن لم تولدوا

وكم أحزنه فعلا الإنسان المغرور الذي جاء إلى الطبيعة وقطع أشجارها بمنشاره، وكأنه يقتل الجمال من أجل منافعه لذلك تخاطبه هذه الأشجار المقطوعة مؤكدة له أنها ستبقى مصدرا للمنافع حتى بعد موتها:

قد عشت أكثر منك في موتي وموتي لا يضير
قد كنت مأوى للطيور، فصرت جسرا للعبور
وعمود نور يستضاء به، وعكاز الضرير

لأن الطبيعة كانت لشعراء المهجر بمثابة الأم الرؤوم فقد استراحوا بين جنباتها وخلعوا همومهم بين أحضانها فأحسوا بقرابة ما بينهم وبينها قرابة أقوى من قرابة الدم.

يقول ندرة حداد :

إلى غدير صغير قد كان بالقرب يجري
هويته وكأني أهوى فتاة بخدري
أزوره مستعيناً على تقلّب دهري
فكنت أغسل همي به وأطرح فقري

وما إن يطلّ الخريف حتى يشعر بالكآبة فيربط بين أحلامه الذاوية ونفسه الكئيبة وبين صورة الخريف :

لما أطلّ الخريف أدركت إخفاقي
وقلت قول الأسيف سبحانك الباقي

وتصبح الطبيعة مجالاً لطرح التساؤلات التي تقلق الوجود الإنساني كثنائية الخير والشر ولماذا وجد الشر، ولم تكن الحياة كلها خيراً مطلقاً يقول ميخائيل نعيمة مخاطباً البحر عبر تساؤل مشروع:

يا بحر، يا بحر قل لي ..... هل فيك خير و شر
وقفت و الليل داجٍ.....و البحر كر و فر
فلم يجني بحر ..... و لم يجني برّ
وعندما شاب ليلي .....وكحل الأفق فجر
سمعت نهراً يغني ....."الكون طي ونشر"
في الناس خير وشر ..... في البحر مد وجزر

ويرى نسيب عريضة في الطبيعة مجالاً للتخلص من الكذب والخداع والتصنع وصولاً إلى اللحظة الصافية التي ينشدها يقول:

يا غاب جئناك للتعري.....أنا ونفسي ولا حرام
فليذع الغصن ما يراه ..... منا إذا أحسن الكلام

فهي عنده كما المثل العليا وما على الإنسان إذا أراد أن يعيش نقياً إلا أن يحتذي بما تقدمه الطبيعة إليه من صور ومشاهد جمالية رائعة يقول نسيب عريضة :

كن مثل بحر زاخر مرجع .....للسحب ما تسكبه الأنهر
كن كالضحى يذهب في دوره ..... تذكره الأمساء و الأعصر
كن مثل شمس منحت نورها .....لكل مخلوق ولا تشكر

وكثيراً ما اندمج شعراء المهجر بالطبيعة حتى ذابوا فيها ذوباناً كاملاً فالشاعر ميخائيل نعيمة كان يشعر أن الطبيعة جزء من كيانه ،ووجوده جزء من كيان الطبيعة يقول في قصيدته من أنت يا نفسي:

من أنت يا نفسي

إن رأيت البحر يطغى الموج فيه و يثور
أو سمعت البحر يبكي عند أقدام الصخور
ترقبي الموج إلى أن يحبس الموج هديره
وتناحر البحر حتى يسمع البحر زفيره
راجعاً منك إليه
هل من الأمواج جئت

هذا الإحساس بوحدة الوجود يظهر أيضاً في قصيدة القروي"عناق الوجود" التي يقول فيها :

من لنفس تود لو تغمر الكون هياماً بحسنه المعبود
مثلوا لي هذا الوجود بشيء أنا لا أستطيع ضم الوجود
تطلع الشمس يستبين بهاها

وتلوح النجوم أرعى سناها
أي وادٍ لم أسامر حصاه
وهضاب و لم أباكر ذراها
وغصون و لم أغرد عليها
و ورود و لم أمصّ جناها
غير أن عمري قصير وفي الكون
فنون من كل حسن جديد
مثلوا لي هذا الوجود بشيء
إنني أشتهي عناق الوجود

لذلك نرى أن هؤلاء الشعراء قد ضاقوا ذرعاً بحياة المدينة التي تتسم بالتكلف والتصنع لتحقيق الأغراض والمنافع الشخصية ولاذوا إلى الطبيعة حيث الحياة الفطرية البسيطة التي كانوا يتوقون إليها وهم بعيدون عن أوطانهم لذلك جاء شعرهم صورة صادقة لما يعتمل بداخلهم من مشاعر وأحاسيس فيّاضة بالحنين والشوق إلى قراهم ومدارج طفولتهم.[1]

ولعل أبرز الشعراء المهجريين الذين اهتموا بالطبيعة وعشقوها وتجلت في معظم أشعارهم شاعرنا إيليا أبو ماضي شاعر المهجر الأكبر فهو يقول في بعض قصائده:

روض إذا زرته كئيبا ..... نفّس عن قلبك الكروبا
يعيد قلب الخليّ مغرا ..... و ينسى العاشق الحبيبا
إذا بكاه الغمام شقّت ..... من الأسى زهرة الجيوبا
تلقى لديه الصّفا ضروبا..... و لست تلقى له ضريبا
و شاه قطر الندى فأضحى..... رداؤه معلما قشيبا
فمن غصون تميس تيها..... و من زهور تضوع طيبا
و من طيور إذا تغنّت..... عاد المعنّى بها طروبا
و نرجس كالرقيب يرنو ..... و ليس ما يقتضي رقيبا
و أقحوان يريك درّا..... و جلّنار حكى اللّهيبا
و جدول لا يزال يجري..... كأنّه يقتفي مريبا

[1] المصدر السابق(أنس داوود،الطبيعة في شعر المهجر)

تسمع طورا له خريرا..... و تارة في الثرى دبيبا
إذا ترامى على جديب..... أمسى به مربعا خصيبا
أو يتجنّى على خصيب..... أعاده قاحلا جديبا
صحّ فلو جاءه عليل..... لم يأت من بعده طبيبا
و كلّ معنى به جميل.....يعلّم الشاعر النسيبا
أرض إذا زارها غريب.....أصبح عن أرضه غريبا[1]

ففي هذه الأبيات نلمس التصوير القوي الذي صور به أبو ماضي الطبيعة وقال إن في رياضها وجناتها نالت نوعا أفضل من الوصف فأعطى الطبيعة وصفا قويا وألم بها كل أنواع الجمال.

فكل هؤلاء الشعراء وغيرهم ممن هاجروا عن أوطانهم تتيموا بالطبيعة وأحبوها حتى النخاع، وعاشوا في أحضانها، وتقاسموا معها الأيام بحلاوتها ومرارتها بحزنها وفرحها بسعادتها وتعاستها، فتفننوا في وصفها ..

[1]أبو ماضي، تذكار الماضي ،دار العلم الملايين ،بيروت ،ط2،ص 39-40.

الفصل الأول

الطبيعة في الشعر العربي القديم

I – الفصل الأول: الطبيعة في الشعر العربي.

01) الطبيعة في الشعر العربي القديم

02) الطبيعة في الشعر العربي الحديث.

03) شعر الطبيعة لدى شعراء المهجر.

I– 1 – الطبيعة في الشعر العربي القديم

الجمال الطبيعي يستفز كوامن الحس، ويهز أدق أعماق الشعور وهو الميدان العادل الذي ينبغي أن توزن به نفسيات الأمم وشعريات الشعوب. ومن المعروف أن صلة شعراء العرب بالطبيعة وثيقة ومتينة منذ أقدم العصور.

ويعتبر الشعر الجاهلي ديوان العرب استوعب الكثير من خصائص حياتهم، على اختلاف وجوهها، وهو أيضا مصدر مهم لوحدة المشاعر والعواطف لدى أجيالهم المتتالية، ومهما تنائت بهم البيئات[1].

لقد عبر الشعراء من خلال الظواهر الطبيعية وفي أغراض مختلفة عن آلامهم ومطامعهم في آن واحد، فجاءت بذلك صورة حية تعكس همومهم في صدق ووضوح، وهناك نماذج كثيرة من الشعراء الذين برعوا وأبدعوا في شعر الطبيعة في العصر الجاهلي.نذكر منهم على سبيل الذكر لا الحصر:

أبو دؤاد الأيادي الذي يصف في هذه الأبيات الغيث ومشاهد الصيد يقول:

وغيث توسن منه الريا ..... ح جونا عشارا وعونا ثقالا
إذا كركرته رياح الجنو ..... ب ألقحن منه عجافا حيالا
وإن راح ينهض نهض الكسي ..... ر جأجأه الماء حتى أسالا
فحل بذي سلع بركه..... تخال البوارق فيه الذبالا
فروى الضرافة من لعلع ..... يسح سجالا ويفري سجالا
تخال مكاكية بالضحى.....حلال الدقاري شربا ثمالا [2]

فنحن نلاحظ في هذه الأبيات أن الشاعر متجاوب ومتفاعل مع الموضوع فهو يعالجه ويتتبع جزيئاته بدقة، فنظره مشدود إلى المطر والريح الشامية تدفعه بعنف وشدة إلى هذه المناطق من خلجان يحددها في دقة.

أما "عبيد بن الأبرص الأسدي" فيقول في المطر:

يا من لبرق أبيت الليل أرقبه.....في مكفهر وفي سوداء مركومه
فبرقها حرق وماؤها دفق ..... وتحتها ريق وفوقها ديمه
فذلك الماء لو أني شربت به .....إذا شفي كبدا شكاء مكلومه[1]

[1] أحمد فلاق عدوات، تطور شعر الطبيعة بين الجاهلية والإسلام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 31.
[2] أبو دؤاد الإيادي، الديوان، تحقيق الدكتورة أنوار محمود الصالحي ،والدكتور أحمد هاشم السامراني ،دار العصماء،دمشق،2010، ص 331.

فمن خلال هذه الأبيات يبدو أن الشاعر متلهف على المطر مما يجعله يمضي الليل يرقبه وقد أبان عن ذلك في البيت الثالث.

أما "أمرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي "الذي أبدع في شعر الطبيعة، وقد كان لها في ديوانه حيز كبير يقول:

وإذا هي تمشي كمشي الترى.....ف يصرعه بالكتيب البهر
كأن المدام وصوب الغمام.....وريح الخزامى ونشر القطر
يعل به برد أنيابها.....إذا طرب الطائر المستحر.

فهنا يقصد المرأة، فقد ألهمت أمرؤ القيس سواء في القسم الطللي من شعره أو مواضيع أخرى فمنذ عهد إمرئ القيس مازال الشعراء لا يكادون يجدون معادلا لجمال المرأة وسحرها إلا ما تمثله مظاهر الطبيعة من روعة .وفي قصيدة أخرى يقول واصفا الليل الذي طال ونجومه التي أبت الرحيل:

وليل كموج البحر أرخى سدوله .....علي بأنواع الهموم ليبتلي
فقلت له لما تمطى بصلبه.....وأردف أعجازا وناء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل ألا أنجلي.....بصبح وما إلا صباح منك بأمثل
فيالك من ليل كأن نجومه.....بكل مغار الفتل شدت بيذبل.
كأن الترايا علقت في مصامها .....بأمراس كتان الرصم جندل[2]

فلقد وصف الطبيعة وصفا رائعا دقيقا.

أما "أوس بن حجر" فيقول:

يا من لبرق أبيت الليل أرقبه.....في عارض كمضيء الصبح لمّاح
دان مسف فويق الأرض هيدبه .....يكاد يدفعه من قام بالراح
هبت جنوب بأعلاه ومال به.....أعجاز مزن يسح الماء دلاح[3].

لقد وصف الشاعر في هذه الأبيات البرق فصوّره بصورة فنية جميلة،

[1] عبيد بن الأبرص الأسدي، الديوان، دار صادر، بيروت،(د ط) (د ت) 135.
[2] محمد عبد المنعم خفاجي، أشعار الشعراء الست الجاهلين، ج2،ط1،1954، المطبعة المنيرة بالأزهر، ص 36.
[3] أوس بن حجر، الديوان، تحقيق محمد يوسف نجم ،نشر بدار بيروت ،عام 1980،ص 53

وأما "طرفة بن العبد البكري" فيقول:

وفي الحيِّ أحوى ينفضُ المردَ شادنٌ ..... مُظاهِرُ سِمْطَيْ لُؤلُؤٍ وَزَبَرجَدِ
خذولٌ تراعي ربرباً بخميلة ..... تَناوَلُ أطرافَ البَرير، وترتَدي
وتبسمُ عن ألمَى كأنَّ مُنوراً ..... تَخَلّلَ حُرَّ الرّمْلِ دِعْصٌ له نَدي
سقتهُ إياةُ الشمس إلا لثاتهُ ..... أُسف و لم تكدم عليه بإثمدِ
ووجهٌ كأنَّ الشمس ألقت رداءها..... عليه، نَقِيَّ اللّونِ لمْ يَتَخَدّدِ[1]

في هذه الأبيات صور الشاعر المرأة حينما يكون جمالها ساحرا للعقول فهو يوحد بينها وبين الطبيعة .

وفي العصر الإسلامي لم تعد فترة ظهور الإسلام عصر انحطاط وضعف للشاعر العربي ولم يجمد الشعراء يومئذ على تقليد أسلافهم على نحو جعلهم يتجاوزون أنفسهم ليعبروا عن أساليب غيرهم بل أن الأدب المخضرم يعد من بعض الوجوه، خير مثال للأدب الملتزم الهادف[2]. أما فيما يخص شعر الطبيعة في هذا العصر فسوف نقوم بعرض فئة من شعراء هذه الفترة لنقف على تجليات الطبيعة في أشعارهم.

يقول كعب بن زهير:

ومستهلكٍ يهدي الضَّلولَ كأنَّه.....حَصيرٌ صَناعٌ بينَ أيدِي الرواملِ
متى ما تشأْ تسمعْ إذا ما هبطته ..... تراطُنَ سربٍ مغربَ الشمسِ نازِلِ
روايا فراخٍ بالفلاةِ توائمٍ .....تحطمُ عنها البيضُ حمرِ الحواصلِ
توائمَ أشباهٍ بغيرِ علامةٍ.....وضعنَ بمجهولٍ من الأرضِ خاملِ
وخرقٍ يخافُ الرَّكبُ أن يدلجُوا بهِ.....يعضونَ منْ أهوالِهِ بالأَناملِ[3]

في هذه الأبيات يصف لنا الشاعر أرض الصحراء الواسعة في منظر طبيعي خلاب يبرز من خلاله مدى وحشة ومصاعب وأهوال الصحراء.

وأما لبيد بن ربيعة العامري فيقول:

يا هل ترى البرق بت أرقبه ..... يزجي حبيا إذا خبا تقبا

[1] طرفة بن العبد، الديوان، تحقيق فوزي عطين، دار صعب، بيروت، 1980م، ص 20.
[2] أحمد فلاق عروات: المرجع السابق، ص 69.
[3] كعب بن زهير، الديوان، تحقيق محمد يوسف النجم، دار صادر، بيروت، ط2، 2002، ص 92.

قعدت وحدي له، وقال أبو ..... ليلى: متى يغتمن فقد أبا[1]

فهو هنا يصف البرق والمطر متبعا طريقة "إمرئ القيس"

أما " الحطيئة بن أوس العبسي" فقد جاءت مظاهر الطبيعة في شعره مرتبطة بوصف الطلل أو حركة الضغائن أو تصوير الناقة.

فقد كان شعره ينبض بالمفاهيم الإسلامية وقصائده المتضمنة لصورة الجيوش المحاربة، فيقول:

وجحفل كبهيم الليل منتجع ..... أرض العدو ببؤسي بعد إنعامي
جمعت من عامر فيه ومن أسد.....ومن تميم ومن حاء ومن حام[2]

ونجد حسان بن ثابت الأنصاري في هذا العصر يقول:

غداة أتاهم يهوى إليهم..... رسول الله كالقمر المنير
له خيل مجنبة تعادى ..... بفرسان عليها كالصقور[3]

وهنا يشبه الرسول بالقمر والصحابة بالصقور.

أما في العصر الأموي تجددت مظاهر الحياة وكانت أكثر عمقا من سابقتها، فقد أتيح للشعراء في هذه المرحلة من حياة المجتمع الإسلامي، أن يتعاملوا مع بيئات جديدة شاهدوا فيها ملامح التطور في أسلوب الحياة، وتعرفوا على نمط عيش جديد.

وقد تفنن شعراء كثر في توظيف مظاهر الطبيعة فمنهم الأخطل فقد عالج مظاهر الطبيعة فكانت في حدود التقليد العربي قبل الإسلام يقول:

دمن تذعذعها الرياح وتارة ..... تسقى بمرتجز السحاب ثقال
في مظلم غدق الرباب كأنما..... يسقي الأشق وعالجا بدوالي
وعلى زبالة بات منه كلكل.....وعلى الكثيب وقلة الأدحال[4]

فهو يربط بين وصف الأطلال بذكر الرياح والأمطار.

[1] لبيد بن ربيعة العامري، الديوان، بيروت لبنان، دار صادر، ط2، 2008، ص 22.
[2] الحطيئة بن أوس العبسي، الديوان، بشرح ابن السكيت و السكري و السجستاني، تحقيق نعمان أمين طه،2009 ،ص 256.
[3] حسان بن ثابث: الديوان، تحقيق سيد حنفي حسين، دار المعارف، مصر،(د.ط)، 1983م، ص 128.
[4] أحمد فلاق عروات: المرجع السابق، ص 87.

ويقول الطرماح بن حكيم الطائي:

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا .....ولو سلكت سبل المكارم ظلت
أرى الليل يحلوه النهار ولا أرى ..... جلال المخازي عن تميم تجلت
ولو أن أم العنكبوت بنت لها.....مظلتها يوم الندى لا كنت[1]

ففي هذه الأبيات يوظف الشاعر عناصر الطبيعة ليهجو عدوه.

وبشروق شمس العصر العباسي الذي غير مجرى حياة العرب، فقد كانت عادات وتقاليد وأخلاق هذا العصر غير ما ألفه العرب وتغيرت ظروف حياتهم ومعيشتهم بانتقال الشعراء النوابغ من البادية إلى المدن والعواصم. وإثر هذا التغير الجدري نشأ الفن الطبيعي الذي يتغنى بسحر الطبيعة.

يقول ابحتري في وصفه للربيع

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا .....من الحسن حتى كاد أن يتكلم
وقد نبه النيروز في غسق الدجى .....أوائل وردكن بالأمس نوما
يفتقها برد الند ى فكأنه ..... يبث حديثا كان قبل مكتما
فمن شجر رد الربيع لباسه ..... عليه كما نشرت وشيا منمما[2]

وقد أبدع البحتري في وصف الطبيعة وجمالها فبالإضافة إلى وصفه للربيع قام بوصف بركة المتوكل، من خلال علاقته بصاحبها الخليفة المتوكل إذ يقول:

يا مَن رَأَى البِرْكَةَ الحسناءَ رؤيتُها.....والآنساتِ، إذا لاحتْ مغانيها
بِحَسْبِها أنّها، في فَضْل رُتْبتِهَا.....تُعَدُّ واحدةً، والبحْرُ ثانيها
ما بالُ دَجْلَةَ كالغيْرى، تُنافِسُها .....في الحُسن، طوْرًا. وأطوارًا، تُباهيها
أمَا رأَتْ كالِئَ الإسلام، يَكْلأُ ها ..... من أَنْ تُعاب، وباني المَجْدِ يبنيها
تنْصَبُّ فيها وُفودُ الماءِ، مُعجّلَةً .....كالخَيل، جاريةً من حبل مُجْريها
فحاجبُ الشمس، أحيانا، يُضاحِكها .....ورَيِّقُ الغيْثِ، أحيانا، يُباكيها
تغني بساتينها القصور برؤيتها .....عن السحائب منحلا عز إليها[1]

[1] الطرماح بن الحكيم بن الحكم، الديوان، منشورات وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، دمشق،(د.ط) 1968، ص 133.
[2] البحتري، أبو العبادة بن الوليد، الديوان، شرح يوسف الشيخ محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987م، ص 147.

فبالرغم من هذا الجمال الموصوف إلا أن هذا الفن لم يلق صدى في الأدب العباسي ولم يتطور ولم ينتشر بكثرة كما انتشر في الأدب الأندلسي، حيث انتشر في هذا الأخير انتشارا عظيما وسيطر على جميع الفنون الأخرى. وأصبحت الطبيعة هي الحلم الواسع الجميل الذي يملأ قلوب الشعراء. ومن أبرز الشعراء الذين سطع نجمهم في هذا المجال الشاعر "ابن زيدون" صاحب القصيدة الرائعة التي تحدث فيها عن الطبيعة ومظاهرها قائلا:

إنني ذكرتك بالزهراء مشتاقا ..... والأفق طلق ووجه الأرض قد راقا
وللنسيم اعتلال في أصائله..... كأنما رقلي فاعتل إشفاقا
والروض عن مائه الفضي مبتسم.....كما شققت عن اللبات أطواقا.
يزم كأيام لذات لنا انصرمت.....تبهالها حين نام الدهر سراقا[2]

تتضمن هذه الأبيات التي قالها بن زيدون عاطفتين، عاطفة الماضي الجميل، وعاطفة الحاضر المحروم، فالشاعر إذا تحدث عن الماضي ابتسمت الطبيعة في طلاقة الأفق وصفاء وجه الأرض وابتسام الروض، أما إذا تحدث عن الحاضر تمثل له في اعتلال النسيم وإشفاقه وبكاء الزهر وجولان دمعه الرقراق.

ونجد أن الحب عنده أساس لعلاقته بالطبيعة ومحاسن المحبوبة تجد نظائرها في الطبيعة فيقول:

يا ليل طل، لا تشتكي.....إلا بوصل قصرك
لو بات عندي قمري.....ما بت أرعى قمرك

وبهذا نكون قد أوردنا من الشعر القديم ما يؤكد أن الطبيعة كان لها حظ وافر في الشعر العربي القديم من جاهلي إلى إسلامي إلى أموي إلى الأندلسي.[3]

[1] عمر الدقاق، ملامح الشعر المهجري، مطبعة جامعة حلب، ص 315.
[2] إبن زيدون، الديوان، بيروت، لبنان، دار صادر، 2006. ص 46.
[3] ينظر موهوب حدوش، النصوص المطولة للمطالعة الأدبية، ط 1999، 2000م، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، ص 25-26.

I-2- الطبيعة في الشعر العربي الحديث:

منذ أبدع الله الطبيعة على مثاله وجبل الإنسان من ترابها ما فتئت النفس الشاعرة ترتشف رحيق الجمال من مفاتنها وتسوغه أناشيد عذبة ترن في مسمع النهر. كذلك كان الشاعر العربي القديم وصّافا بارعا يحرص على أن يجعل من قصيدته لوحة متقنة الصنع تمتاز بدقة ملامحها وغنى ألوانها. ولكنه في الغالب كان يكتفي بهذا الرصد الأمين والرسم الدقيق تجاه ما تقع عليه حواسه من معالم الجبال دون أن يتعمقه أو ينفذ إلى ما وراء مظاهره الزاهية من معاني خفية تنبض بالحياة وتثير كامن المشاعر، فهو على حبه للطبيعة وإحساسه القوي بمحاسنها كان يجنح إلى تجسيمها بخياله وتحميلها بصوره فيجيد الصناعة ويحسن الصياغة، فلما كان ينفخ فيها من روحه، خلا ما كان منه في بعض الشعر الأندلسي. لقد نظر الشاعر العربي إلى تلك الطبيعة على أنها عالم جميل حافل بالمفاتن، ولكنه عالم مستقل غني، وبذاته يقابل عالم الإنسان ويغايره.[1]

وقد استمر هذا الفهم التقليدي للطبيعة في جانب من الشعر العربي الحديث، ولكنه انعطف في أدب المهجر بوجه خاص نحو مسار جديد حين جعل الشاعر من نفسه جزءا من الطبيعة. بل إن الاغتراب زادهم لصوقا بها وتعاطفا معها وتندمج معه فيما يشبه الحلول الصوفي المتبادل، ولكم كان في غربته يناجي الجبال ويرعى النجوم ويستنطق الصخور ويغاني الطيور ويقرأ في سفر الكون أسرار الجمال وآيات السحر، وعن مثل هذا الإحساس العميق بمفاتن الطبيعة. يعبر الشاعر القروي في نشوة بالغة[2].

"... وإذا طغى الجمال كما في لبنان فجمع بين سمو وجمال ونظرة السفوح وترقرق الجداول وزرقة البحر والسماء وردني في خشوع يلصق جبيني بالتراب ويسكب من عيني وشفتي تسبيحة رطبة حارة، وقد يتجسم شعوري بصلة القربى بيني وبين هذه الألوان فأنعطف على الشجرة أعانقها والصخرة أضمها والزهرة أناغيها والمرجة أتقلب عليها، وأمد ذراعي إلى السماء أحييها وأبعث إلى الشمس بقبلات على أطراف بناني .."

إن هيام هذا الشاعر بالطبيعة ليس له حدود فهو يتلهف على استعجال محاسنها وتعشق أسرارها ويتوق إلى معانقة الوجود والاتحاد به إلى درجة العبادة[3]

من لنفس تود لو تغمر.....الكون هياما بحسنه المعبود
مثلوا لي هذا الوجود بشيء ..... أنا لا أستطيع ضم الوجود

وبمثل هذه النشوة الصوفية العميقة يستشعر جبران سعادة أسرار الجبال الأزلي قائلا:[1]

[1] عمر الدقاق: المرجع السابق، ص 197.
[2] القروي، الديوان،دار الحرية للطباعة والنشر،ط1 مجلد 1 ،1973،ص 24.
[3] المصدر نفسه ،ص 542.

في بهجة العقل والعذران هازجة ..... أحس بالله في عيني يلثمني
في قبلة الشمس والأنسام تحضنني ..... كأنما الله مشتاقا يعانقني

" ولقد أسهم شعر المهجر في إغناء الأدب الحديث، واختزن في ثناياه كثيرا من الموضوعات التي لا تزال بحاجة إلى دراسة ووقفة تأمل، ولعل الطبيعة من الموضوعات التي شاعت في شعر أدباء المهجر بشكل ملحوظ، فقد اهتم العرب بالطبيعة اهتماما عظيما ووصفوها وصفا منوعا، وذلك لأن حياتهم ارتبطت بها إلى حد كبير، وشعرهم في الطبيعة عظيم من ناحية الكم والكيف معا، ولم يترك الشاعر العربي ناحية من الطبيعة إلا وصفها وأتقن الوصف والتفصيل، ولعل التفاتهم إلى الطبيعة بألوانها ومناظرها الخلابة دليل على عظم اهتمامهم بها"[2]

[1]مجلة العصبة، كانون الأول (ديسمبر) 1937، ص 769.
[2]ينظر: محمد النوهيبي، الشعر الجاهلي، منهج في دراسته وتقويمه، ترجمة أحمد نعيم الكراعين، دار المعرفة، الإسكندرية،(د.ط) ج1، 1985م، ص 386.

I-3- شعر الطبيعة لدى شعراء المهجر:

لقد أحس شاعر المهجر باضطراب نفسي نتيجة الغربة والانفصال عن مجتمعه الذي ترعرع فيه، وهذا الشعور النفسي جعل الشاعر المهجري في عالم آخر تقوقع في خياله، فبنى لنفسه عالما من أغصان الطبيعة وأشجارها وأزهارها يأوي إليه ويرتاح مع أصدقائه من الطيور والنباتات والجمادات[1].

يتسم الشاعر بمشاعر تختلف عن الإنسان العادي. فأعتقد أن شاعر المهجر يحمل روحا أسمى ممن يعيشون حوله، وهذه الروح تحمل رسالة مثالية، ولا يمكن للشاعر نقل هذه الرسالة وتوصيلها للآخرين على خير وجه إلا في عزلته، وبالتالي لا يعتزل عن الآخرين إلا في الطبيعة[2].

ولقد ارتبطت الطبيعة في شعر المهجر بعالم الطفولة والمرح والسعادة المختزن في ذهن الشاعر ومخيلته، فحاول معظم شعراء المهجر وخاصة أبو ماضي استعادةذكريات الماضي من خلال أحضان الطبيعة فيقول في إحدى قصائده:

وطن النجوم ، أنا هنا ..... حدّق ، أتذكر من أنا
ألمحت في الماضي البعيد.....فتى غريرا أرعنا
جذلان يمرح في حقولك..... كالنسيم مدندنا
ألقتني المملوك ملعبة ..... و غير المقتنى
يتسلّق الأشجار لا ضجرا..... يحسّ ولا ونى
و يعود بالأغصان يبريها ..... سيوفا أو قنا[3]

أكثر أبو ماضي من وصف الطبيعة في شعره، عشقها، وفتن بألوانها الدافئة وسحرها الرباني، فما ترك أودية إلا وترجل بقصائده إلى أغوار أعماقها، ولا جبالا إلا وتسلق سابق قممها ولا سهولا إلا وساح في بساطها الأخضر، ولا أنهارا إلا وغمر جسدهم برقراق مائها العذب الصافي[4]

فمثله مثل شعراء المهجر الذين دعوا إلى حياة اجتماعية مثالية ذات اتصال شديد بالطبيعة، فقد اتخذوا أمثلتهم وإلهامهم من مائها وسمائها، من حيواناتها وطيورها، من نباتاتها وجماداتها وقد أنس الشاعر المهجري في نزوعه الرومانتيكي الحالم بكل مظاهر الطبيعة، فالليل الذي اعتاد الشعراء أن يشتكوا تطاوله ووطأة الهم خلاله هو عند "شكر الله

[1] عوين أحمد، الطبيعة الرومانسية في الشعر العربي الحديث، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية،ط1،2001م،ص 151.
[2] محمد غنيمي هلال، الرومانتيكية، دار العودة، بيروت، (د.ط) 1969م، ص73.
[3] إيليا أبو ماضي، الديوان ص 736.
[4] ينظر: عبد المجيد الحر، إيليا أبو ماضي، باعث الأمل ومفجر ينابيع التفاؤل، دار الفكر العربي، بيروت،ط1،1995م،ص65.

الجر" رفيق وحدته وأنيس غربته ولكم أحب هذا الشاعر الليل وأطال نجواه حتى ليصح أن نطلق عليه إسم شاعر الليل، وهو الذي أطلق على آخر مجموعاته الشعرية اسم أغاني الليل وما أشبهه بجبران خليل جبران، الذي دأب على مناجاة الليل بعبارات شاعرية تفيض رقة وعذوبة، حيث يقول في قصيدته المشهورة بعنوان " في كهوف الليل":

أنت ياليل حبيب لقلوب الشعراء
فلكم عزيت قلبا لم يكن يرجو العزاء
ولكم ضمدت جرحا لم يكن يرجو الشفاء
لك دنيا غير دنيا النور حسا وشعور
أيها الليل وكم من كاره لون السواد
حاسبا في توبك القاتم رمزا للحداد
أي كحل لم يكن من كحل عينيك مداب
أنت يا ليل العزاء لنفوس الغرباء وقلوب الشعراء[1]

فالطبيعة على جمادها لم تكن تقصد لذاتها من قبل شعراء العصبة وسائر شعراء المهجر، بل كانت في الغالب سبيلا إلى انطلاق المشاعر الذاتية وتوليد أعمق النوازع والتأملات، فمظاهر الطبيعة لم تعد لدى الشاعر الرومانتيكي الغريب مجرد نسائم وأزهار وسواق وأطيار وحقول ونجوم ولكنها عالم آخر. كما أن بلاد المهجر تتمتع بطبيعة خلابة شدت المهاجرين إليها منذ الوهلة الأولى، فكأنها جنان عدن، يقول طه علوي السقاف في قصيدة الحضرمي المهاجر:

حلّ في أرخبيل "جاوة" كما حل..... ت أناس قضوا به الأعمارا
ورأى "الأرخبيل" وهو جنان..... مفضلات تفجرت أنهارا
فثنته بنت الطبيعة في "جاوا"..... وهزت من قلبه الأوتارا
منظر رائق، جمال زهر..... معرض للحياة يجلى نهارا[2]

ووصف طه السقاف "جاوا" بأنه جنان ليس منافيا للحقيقة، فالأستاذ على الطنطاوي في كتابه " صور من الشرق: في أندونيسيا" يصفها بالجنة أيضا يقول في فصل عنوانه "يوم في الجنة" ولست أعني جنة الآخرة فإن دون ذلك مصائب وأهوالا... ولكن أعني جنة الدنيا، وليست جنة الدنيا الشام ولا لبنان ولا سويسرة ولكن جنة الدنيا "جاوة" ومن

[1] القروي، الديوان، ص 647.
[2] حسين علي محمد، أحمد زلط، الأدب العربي الحديث الرؤية والتشكيلة، ط1، 2000م، ص 128-129.

رآها فقد علم أني أقول حقا، ومن لم يرها لم يغنه عن مرآها البيان، وليس الخبر كالعيان"[1].

وقد وصف محمود شوقي الأيوبي الأندنوسيا بأنها "الفردوس الإستوائي" في عناوين إحدى قصائده وقد وصفها معجبا، وشبهها بالمرأة الجميلة إذ يقول:

تتمتع بمرأى الحسن في وردة الخلد .....وفي الأعين الدعجاء والجيد والنهد
ودق خمرة الفردوس في الريق والمرر..... ففيها شفاء النفس والقلب والكبد
وإن رمت غارات الجنان فإنها .....على الأرض من وهد تسير إلى وهد
وإن رمت فردوسا مقيما فإنه .....بجاوا عروس الشرق بل جنة الخلد
تفجر ينبوع الجمال بساحها ..... وسال كما سال الضباب على الورد
وما الحسن إلا في الطبيعة كلها ..... ولكن جاوا للطبيعة كالعقد[2]

وقد كتب الشاعر صالح بن علي الحامد العلوي قصيدة طويلة بعنوان "جاوة الجميلة" يقول فيها

قسما ياجاوا بكل آية .....لست إلا بنت الجنان العلية
حبذا أنت من بلاد رخية ..... ألبستها كف السحاب السخية
حللا من نسيجها سندسيه .....كم جرت فيك للجمال عيون
وغدا الفن فيك كتر مصون .....فيك حسن تحار فيه العيون
دون إدراكه تزل الفتون ..... وتع الخواطر الشعرية[3]

إنه يرى في جاوا جنة الله على الأرض، وهي بلاد رخاء تنزل الأمطار بسخاء عليها فتمنحها حللا خضراء سندسية جميلة، ويفصل القول في المناظر التي تعجبه وتملؤ العينيين بمناظر الجمال، وتملؤ النفس بما يبعث البهجة والسرور:

من رواب مخلصة ورواب ..... ترتوي من نبع بها فياض
وحقول مبتلة وغياض .....ورياض محفوفة برياض
صور تخلب النهي سحرية..... كل روض تراه بالعشب نضرا

[1] علي الطنطاوي، صور من الشرق، مؤسسة المطبوعات العربية، دمشق 138، عام 1960م،ص 94.
[2] أنظر قصيدة "الفردوس الإستوائي" في الديوان، المنابر والأقلام، ص 129.
[3] نشرها في ديوانه الأول "نسمات الربيع الذي صدر عن لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة عام 1355 ه، وقد له شاعر الشباب أحمد رامي، ص 64.

وترى فيه جدولا أو نهرا.....وترى وسيته زهورا حمرا
تمر أخرى بيضاء وصفراء وخضراء.....لا زوردية وفيروزية

ولابن شهاب العلوي قصيدة طويلة يصف فيها محاسن سنغافورة ولا يخرج وصفه لها عن المعاني التقليدية فهي غنية بمباهج الحياة ونسيمها يفرح الكئيب الذي تتناوشه أحزان الغربة والأمطار تمنح هذا الوادي الجميل الخصيب النبت والأشجار الخضراء، يقول في بعض أبيات هذه القصيدة.

مدينة سنغفورة حين تبدو..... معالمها ترى السوح رهيبا
إدا مر النسيم على رباها.....يسلي فوجه القلب الكئيبا
فحياها الحيا الوسمي حتى.....يغادر سفحها أبدا خصيبا
ولا برحت لسكانها نعيما.....يزور بها متى شاء الحبيبا
قصور لا يلم بها قصورا.....ودور بالدورها القمري خطيبا
تشاهد في الرياض بها قطوفا.....تنوء بحملها غصنا طيبا
و لم تسمع إذا ما طفت إلا .....حماما ساجعا أو عندليبا[1]

كما نلمس في قصيدة "شفيق المعلوف" ساعة المغيب مدى سلطان الطبيعة على نفس الشاعر، كأنه في غمرة إستغراقه في آيات جمالها ينسى محبوبته فينصرف عن التغزل بها إلى التغزل بمحاسن الكون في نشوة بالغة:

لله عند المغيب موقفا .....وللهوى عندنا تباريح
فنرقب الليل فوق رابية ..... يعبق منها العرار والشيح
والشمس في أفقها معلقة.....وحولها السحاب توشيح
والطير فوق الترى مفرشة..... تنوح والجو فيه تكليح[2]

ومن الشعراء أيضا الذين حاكوا الطبيعة "الأخطل الصغير" - بشارة الخوري- الذي عانق الطبيعة حتى ذاب فيها كما نرى في قوله:

وأنا الذي عندي الجمال شعره .....وحنا عليه سافرا وملتما

[1] ديوان ابن شهاب العلوي، دار التراث اليمني ،صنعاء ،مكتبة التراث الإسلامي ،1996 ،ص161.
[2] عمر الدقاق: ملامح الشعر المهجري، مطبعة جامعة حلب، ص 208-209.

أنا ياربيع – ولا أمن– قصائدي ..... لولاك لما طبعت على فمها فما[1]

كذلك نجد ظمأ شديدا إلى الطبيعة من طرف "الشابي" فهو يحن إليها حنين العابد إلى ربه، والطفل إلى أمه ويتجلى هذا الحنين في تعطشه إلى رؤية الينابيع بين المروج، وسماع نغمات الطيور وهمس النسيم ويحن المطر وتألق النور وترنم الظل[2]

ولقد عبر على هذا كله في قصيدة شهيرة تحت عنوان "إرادة الحياة"

ظمئت إلى النور فوق الغصون.....ظمئت إلى الظل تحت السحر
ظمئت إلى النبع بين المروج .....يغني ويرقص فوق الزهر
ظمئت إلى الكون أين الوجود.....وأنى أرى العالم المنتظر؟[3]

كما يقول في هذا الصدد الشاعر "ميخائيل نعيمة"

إن رأيت البحر يطغى الموج ويثور
أو سمعت البحر يبكي عند أقدام الصخور
ترقى الموج إلى أن تحبس الموج هديره
وتناجي البحر حتى يسمع البحر زفيره
راجعا منك إليه؟
هل من الأمواج جئت؟

وهكذا يمضي الشاعر في قصيدته متتبعا مظاهر الطبيعة التي تحيط به مازجا بينها وبين نفسه بما يوحي بأنها ليست إلا صدى لها أو صورة منها، ومعنى ذلك أنه قد استغرق في الطبيعة إستغراقا كليا وأحس بأنه جزء منها وروح تسري في أوصالها[4]

ويقول أيضا في قصيدة أخرى بعنوان "أوراق الخريف":

تناثري تناثري ..... يا بهجة النظر
يا مرقص الشمس ويا ..... أرجوحة القمر
يا أرغن الليل ويا..... قيتارة السحر[1]

[1]نسيب نشاوي: مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ط 1984،ص251.
[2]أبو قاسم محمد كرو: كفاح الشابي، 1904، ص 98.
[3]الشابي، أغاني الحياة ، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية، ط4،2005،ص 411.
[4]نسيب نشاوي: المرجع السابق، ص 285.

ميخائيل نعيمة في هذه الأبيات يجعل أوراق الخريف محورا للتعبير عن هذه الفكرة الفلسفية، فكرة كمون المادة وتنافسها وانتقالها في أطوار مختلفة من الحياة، فالطبيعة كانت وما تزال ملجأ الشاعر إذا عسر عليه القول واشتدت به الأزمات[2]

ولقد رأى الإنسان نفسه واحدا من أبناء الطبيعة يستمد منها حياته ويجد فيها هواه، فنفد إلى قلبها فاستخلص مالم يجد غيره سبيلا إليه، أو لم يحس بوجوده، ولا يقتصر ذلك على الرجل العربي، بل يتفق فيه أبناء البئات جميعا[3].

فقد جال شعراء المهجر في كل فن، وقالوا في كل غرض، وفاض شعرهم بمختلف النزعات وخاصة الرومانسية، وصار شعرهم أكثر حرية في اللغة وتحديدا في الألفاظ والأساليب، ومقارنة بشعراء المدارس السابقة أو شعراء المهجر في الجنوب[4]

ولقد أكثر النقاد والدارسون الحديث عن الألفاظ والتراكيب التي استخدمها شعراء المهجر في شعرهم، فعلى سبيل المثال يرى مندور أن ألفاظ شعرهم وتراكيبها ليست لها مثيل، فقد مال الشاعر إلى التعبير المباشر القوي- دون تصنع أو تكلف- عن واقع الحياة[5]

ومن بين أسباب قول شعراء المهجر لشعر الطبيعة أنهم كانوا ينظرون إليها على أنها روح معشوق، له من الحس والشعور ما يلهمهم روائع الفن، وينطقهم بأعذب الأناشيد.

وهذا ما يوضحه الفرق بين الجانب الخارجي للطبيعة والامتزاج الكامل بعناصرها. إنهم يتصوفون في حبهم للطبيعة وفي إحساسهم، وكانو يرون الوجه النقي المشرق للحياة حيث لم تعكر صفوها أحقاد البشر.

وموقف الشعراء المهجريين من الطبيعة يستند إلى سببين واضحين، الأول رومنسي والثاني واقعي.

ا- رومنسي

لقد تأثر شعراء المهجر بالنزعة الرومنسية والروحية ويظهر ذلك من خلال نصوصهم وأعمالهم، وقد عمت الرومنسية طبعهم حتى وصلت إلى رجال الدين، كما هو الحال بالنسبة للفرنسي "شاتو بريان" صاحب "مذكرات ما وراء القبر" و"لامارتين" و"كولرج" و"شيلي" في بريطانيا.

---

[1] همس الجفون، ص 18.
[2] إبن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد شاكر، دار المعارف مصر،1966م،ج1، ص 79.
[3] نصار، حسين، في الشعر العربي، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، ط1،2002م،ص 230-231.
[4] محمد عبد المنعم خفاجي، مدارس النشر الحديث، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2004م،ص 185-186.
[5] مندور محمد، في الميزان الجديد، دار النهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، (د ط)، (د،ت) ص 73.

كما تحلى شعر أدباء المهجر بالطابع العاطفي والإنساني والتأملي الذي امتزج بالطبيعة وألبسها ثوبا جميلا من الأخيلة والاستعارات فقد أقبل أبو ماضي على الحياة متفائلا ولم يجد غير الطبيعة لتكون منطلقا لتفاؤله ورومنسيته في الحياة[1].

وسنرى ذلك عندما نأتي إلى أسباب قول إيليا أبي ماضي لشعر الطبيعة كما في قصيدة "إلى الله راجعون" قوله:

بَيني وَبَينَ العُيونِ سِرٌّ .....اللَهُ في السِرِّ وَالعُيون
إِذا عَصَت فِكرَتي القَوافي .....أَوحَت لِنَفسي بِها الجُفون
هاتِ اِقِني الخَمرَ جَهراً .....وَلا تُبالِ بِما يَكون
إِن كانَ خَيرٌ أَو كانَ شَرٌّ .....إِنّا إِلى اللَهِ راجِعون [2]

فمن خلال هذه الأبيات يتضح لنا هذا التأثر بالمذهب الروحي. فالشاعر هنا يؤمن بوجود الله وبأنه فوق كل شيء ويعلم الظاهر والباطن ولأن الشعراء المهجريين قد نشأوا وترعرعوا في وسط طبيعي فإنهم بالفطرة يحبون الطبيعة، ويوظفون إحساسهم الفطري هذا في شعرهم من خلال عناصرها، خاصة فيما يتعلق بشعر الحنين إلى الوطن نتيجة الاغتراب. كما نجد ذلك في شعر رياض معلوف بقوله"

أنا ريشة من طيرك الصداح في الجو الرحيب
أنا قطعة من أرضك بي العلم المفدي بالقلوب

فنرى الشاعر قد وظف الطبيعة لأن أصله من وسط طبيعي، ويعبر عن ذلك باشتياقه وحنينه إلى أصله وبلده. وفي هذا الموضوع نجد الشاعر "الأخطل الصغير" يقول:

أنا الذي غنى الجمال بشعره .....وحنا عليه سافراً وملثماً

ففي هذا البيت يعبر عن رومنسية رائعة تتضح لنا من خلال ذوبانه في حب الطبيعة.

ب- واقعي:

تأثر شعراء المهجر بالواقع المعاش، ولم يحبوا الحياة المادية ولم يستطيعوا التلاؤم معها، باعتقادهم أنها السبب في تعكير صفاء النفس البشرية فكانت الطبيعة بصفائها ونعومتها ولطفها هي الصورة المقابلة لتلك الحياة التي يستقي بها الإنسان. فنجدهم

[1] ينظر شوقي ضيف، دراسات في الشعر العربي المعاصر، دار المعرفة، مصر، ط1، 1993م،ص 182-183.
[2] زهير ميرزا، إيليا أبو ماضي، شاعر المهجر الأكبر، ط2، دار البقظة لبنان، ص 784.

يوظفون المظاهر الاجتماعية والواقعية من خلال عناصر الطبيعة، كما نجد ذلك عند أبو ماضي في قصيدته " الحرب العظمى"

صل الحديد وشمرت عن ساقها ..... وتنكر الإخوان للإخوان
فالخيل غاضبة على أرسانها ..... والبيض غاضبة على الأجفان[1]

فلقد وصف الحرب بالعظمى وعبر بالعناصر الطبيعية عن ما وقع في هذه الحرب

[1] المرجع السابق ص 734.

الفصل الثاني

الطبيعة في شعر إيليا أبي ماضي

II– الفصل الثاني: الطبيعة في شعر إيليا أبي ماضي.

II– 1- مدخل حول عصر أبي ماضي.

II– 2- لمحة في حياته.

II– 3- تعريف شعر الطبيعة.

II– 4- الطبيعة في شعر أبي ماضي.

II– 5- الترابط والتوافق بين الطبيعة ونفسية الشاعر.

II– 6- نماذج من شعره في الطبيعة.

II– 1– مدخل حول عصر أبي ماضي.

II– 1– أ– الحياة الدينية:

لقد التفت شاعرنا حوله فإذا الناس على خلاف دائم حول الأديان الكثيرة، وحتى من الدين الواحد، ووجد المذاهب المتعددة والطوائف المختلفة، كل مذهب يمجّد مبادئه ويدحض مبادئ الآخر، والناس في خضم هذه الفوضى الفكرية.

التناحر الطائفي والديني، زرع في أعماق أبي ماضي بذور الشك بالأديان المتدينين، الأمر الذي جعله يتخطى الطوائف المختلفة فقاده فكره إلى الإله الواحد، واجب الوجود، آمن بربّ واحد حكيم، خلق هذا العالم، ورتبه، ونظمه، إنه إله المحبة الشامل، الذي من المفترض أن يكون الإنسان على شاكلته، مفعم بالمحبة. فالمحبة تنير وتجمع الشتات الإنساني، في حين أن الكره والبغض يظلم ويمزّق. يقول إيليا أبو ماضي في هذا الموضوع:

أحبب فيغدو الكوخ كوناً نيّراً ..... ما الكأس لولا الخمر إلا زجاجة
كم روّعوا بجهنم أرواحنا ..... ليست جهنم غير فكرة تاج

هذا الطريق المحفوف بالمخاطر والأشواك، بالشك والظنون، ابتعد عنه أبو ماضي وأخذ يسلك دروباً شائكة في الحياة، نظر حوله فإذا العالم كله ينحدر ببطء نحو الزوال، وما الخلود سوى ضرب من الخيال، تراب فتراب، حياة كلها هباء، وجميع العناصر الحية، إلى فناء، فإلى أين المفر؟ إنها المأساة والصراع الذي يمزّق رغبات الإنسان المكبل بهواجس القنوط واليأس والشقاء، والعدمية، ويقوده إلى التشاؤم المرير...

II– 1– ب– الحياة السياسية:

ظل الشرق خاضعا لحكم العثمانيين لفترة طويلة وكانت السلالة العثمانية تأخذ بالأسباب والحكم المطلق، فكان بذلك الحكم العثماني استبداديا مطلقا وكان لهذه القرون الأربعة المظلمة في حياة الأمة العربية أبعد الأثر في قتل كل موهبة أدبية أو فكرية أو علمية، وكان الحال في الشام أسوء من غيره في باقي البلاد العربية، يقول خوري باسيلوس في هذا:

"لم يحل السلام في وطننا المحبوب ولا استتب الأمن فيه، وما يسبب تلك الشحناء بين أبناء الوطن الواحد تمشوا على سياسة "فرق تملك" وبفضل هذه السياسة جرت مذابح دموية هائلة ومجازر بشرية حفظها التاريخ"[1].

هكذا كان الشام في عهد الحكم العثماني تسوده عوامل التصدع، وتظهر فيه صور الفساد والتعصب الديني والسياسي والتناحر المذهبي والطائفي وقد بلغ التعصب ضد المسيحيين أوجه.

في هذا الجو الوخيم الذي زاده فقر البلاد الطبيعي خاصة بعدما عاشت البلاد ويلات الاضطراب وشدة الحال ومنيت بلادهم بتدهور الاقتصاد وتفشي الفوضى. وكما يقول في هذا السياق عيسى الناعور على إيليا أبو ماضي – لقد رمى أبو ماضي إلى: "نشر المبادئ السياسية والمثل العليا بين الناس بالدعوة إلى الإخاء الإنساني العام ومحاربة النظم التي تباعد بين الإنسان وأخيه الإنسان، والعمل على خلق مجتمع إنساني أمثل يسوده العمل والرحمة والمحبة والأخوة الصادقة"

فقد عاشت البلاد العربية بداية العصر الحديث تدهورا وانحطاطا على جميع المستويات، مما دفع بأبناء الأمة العربية إلى الهجرة والتطلع إلى الحرية "فهناك طائفة متوتبة وشغوفة للحرية وفي رؤوسهم آفاق رحاب من الفكر النير والخيال الخصيب أولئك كانوا من الرعيل المثقف الواعي الذي عزّ عليه أن يعيش أسيرا للظلم والعوز فانطلق يبحث عن الحرية والاكتفاء"[2]

II– 1– ج – الحياة الإجتماعية:

أمام الظروف المعاشة الصعبة التي كانت فيها البلاد وضيق سبل الرزق لم يجد أهلها بدا من الهجرة والنزوح عن الوطن فرارا من وجه المجازر الدامية التي أحدثها ضدهم واشعل نارها النزاع الطائفي المرير. وكانت هذه الهجرة على هيئة دفعات انطلقت أولا من لبنان، وكانت أغلب الدفعات المهاجرة لبنانية وتعليل ذلك أن كل دولة كانت تهدف إلى غاية سياسية في الشام تتفق على تأسيس المدارس الخاصة بها[3].

فأسباب الهجرة ودوافعها تنقسم إلى قسمين، قسم دافع وآخر جاذب، فالدافع هو ظروف بلاد العرب من فقر وظلم وجور وسوء الحكم وطغيان. أم القسم الجاذب فهو الرغبة في الحرية والكرامة ورغد العيش وأثر الحملات التبشيرية والدعايات الأجنبية. وأسباب الهجرة واضحة المعالم هي: الحرية، الكرامة، الطموح. أبرز ما يفسر لنا هذا الكلام هو "إيليا أبو ماضي" موضحا أسباب الهجرة في قصيدة له بعنوان "شبح" وهي رسالة من لبنان إلى أبنائه المهاجرين يقول:

---

[1] مصطفى هدارة: التجديد في شعر المهجر، دار الفكر العربي، لبنان، ط1، 1987م، ص 54.
[2] عيسى الناعوري: أدب المهجر، دار المعرفة، مصر 1977، ط3، ص 17.
[3] السعيد بوعون، إيليا أبو ماضي حياته وشعره. مذكرة تخرج.

لبنان لا ينبك إذا هم .....كبوا إلى العليا كل سفين
لم يهجروك ملالة، لكنهم.....خلقوا لصيد اللؤلؤ المكنون
ورثوا اقتحام البحر عن فينيقيا.....أم الثقافة مصدر التمدين
والنسر لن يرضى السجون وإن تكن.....ذهبا فكيف محابس من طين
والأرض للحشرات تزحف فوقها.....والجو للبازي والشاهين

ويعلن "شكر الله الجر" أن الذي دفعه إلى تراب عن بلاده هو ما منيت به من ذل وسوء الحال لأن الحر لا يستطيع أن يعيش في مكان أطبق عليه اليأس من كل ناحية يقول[1].

إيه لبنان يشهد الله أنّا ..... ما هجرناك عن قلى وصلابة
إنما أصبح المقام بأرض الأرز .....ما للحرّ ذلة ومعابة
كيف لا يهجر الأبى مكانا.....ملأ اليأس جه ورحابة

ويقصد بهذه الأبيات أن كل لإنسان أو شاعر أو غير ذلك يريد أن يعيش حرا ومحافظا على كرامته وأرضه ووطنه فعليه أن يرفع رأسه ولا يخضع للحكم الظالم ولا يقبل الذل والإهانة من أي كان، يجب أن يكون معتزا ومفتخرا بنفسه ويقاوم ويصمد في وجه المحتل والظلم.

وإذا تحتم الأمر يترك بلاده ويهجر إلى خارج البلاد ويعيش برأسه مرفوعا وشامخا.

ولهذه الأسباب تفشت ظاهرة الهجرة شيئا فشيئا. ظف إلى ذلك الأوضاع السياسية والفقر والشقاء، وكان الجوع والحرمان مصير الأغلبية العظمى من المواطنين، وكذلك كان يذهب بعضهم إلى زيارة إمبراطور البرازيل "الدون بدور ثاني" إلى فلسطين بين عامي 1877-1878. وتعتبر هذه الزيارة أول باب تم به الاتصال بين لبنان وأمريكا.

وأيضا الثورة العربية التي تسبب عند نشوبها هروب أكثر اللبنانيين لا سيما منهم المثقفين والشعراء.

إلى ذلك فقر لبنان، تم امتلاك أصحاب الإقطاعات للأراضي الزراعية بحيث كان الفلاح عرضة لظلم صاحب الأرض، فكان ينتسف عرقه وتعبه، وهذا ما دعاهم إلى الهجرة طلبا لحياة أفضل ومعيشة مترفعة، أين يوجد الغنى والثراء والمال، وكان العالم الأمريكي مقصدهم أين أغراهم حال من سبقهم من المهاجرين الأوائل.

[1] عبد الحليم بلبع: التجديد الشعري في المهجريين النظرية والتطبيق، دار الزيبني للطباعة، د م، دت، د ط، ص 63.

كذلك نجد السبب السياسي هو ضغط حكومة الاستانة على رعاياها ولا سيما غير المسلمين خوفا من بزوغ حركات تحررية، فكانت تأخذ بالشبهة كل بريء فكان اللبنانيين يزيحون هذا العبء بالهجرة والهروب من الوطن " ويمضي ركب المهاجرين في صراعه من أجل كسب لقمة العيش لا تفتر له همة ولا يكل له عزم يضرب في شعاب الأرض مؤمنا بحقه في حياة كريمة تظللها السعادة"[1].

II– 1– د – الحياة الثقافية:

وفيما يخص الحالة الثقافية التي عاش فيها شاعرنا هو التركيز على المدارس الأدبية التي ظهرت في عصره، والتي كانت المحرك الوحيد والإنتاج الجديد في هذه الحقبة.

أ- مدرسة المهجر.

هي مدرسة جمعت مجموعة من أدباء المهجر عملوا على تكوين جمعيات وروابط أدبية تؤلف وتربط بينهم وتعوضهم عما فقدوه في أوطانهم من روابط أسرية واجتماعية.

ويقصد بالأدب المهجري كل ما أبدعه الشعراء العرب الدين هاجروا إلى بلاد الغرب ويشمل الأدب والشعر، فكانوا جمعيات وروابط أدبية وأصدروا الصحف والمجلات لنشر أعمالهم. "فمن الشعراء من هاجروا إلى الولايات المتحدة الأمريكية وأسسوا الرابطة القلمية من بينهم 'جبران خليل جبرا'، 'أمين الريحان'، 'ميخائل نعيمة'، 'إيليا أبو ماضي' ، والبعض الآخر هاجر إلى أمريكا الجنوبية وأسسوا العصبة الأندلسية من بينهم 'إلياس فرحات'، 'رشيد سليم الخوري' و'رياض معروف' "[2].

فقام هؤلاء المهاجرون بتأسيس جمعيات وصل عددها ثلاثين جمعية، فأقدمها وأعظمها جنوبية باسم "رواق المعري" في سان باولو بالبرازيل، ثم أنشأ الشماليون في "نيو يورك" الجمعية السورية المتحدة.

وقد عرفوا أدباء المهجر في العالم العربي عن طريق جمعيتين أدبيتين شهيرتين هما العصبة الأندلسية والرابطة القلمية.

أ- 1- العصبة الأندلسية:

"النهضة الأدبية العربية في المهجر الجنوبي التي ولدت في "سان باولو بالبرازيل والتي وضحت على أبرز ما يكون في العصبة الأندلسية ونمت وترعرعت وأصبحت راسخة الجذور ممتدة الفروع. ما لبثت أن امتدت فوصلت إلى "بوينس أيريس" بالأرجنتين حيث ألفت "الرابطة الأدبية" فكان لها أثر حسن في تدعيم أركان الأدب العربي هناك ولو إلى عهد قصير من الزمن.

[1] السعيد بوعون، إيليا أبو ماضي حياته وشعره، مذكرة التخرج. إشراف جامعة منتوري قسنطينة، 1982-1983، ص 2.
[2] عبد الحليم بلبع" التجديد الشعري في المهجرين والتطبيق، دار الزيبني للطباعة (دم)، د ت)، ص 63.

وترى عزيزة مريدن أن الحنين الرومانسي سيفرق القسم الأكبر من الحنين إلى الأوطان عند شعراء المهجر الجنوبي"[1]

وتأسست هذه العصبة سنة 1932م بأمريكا الجنوبية في البرازيل "وكانت تتألف حين تأسيسها من 'ميتشل معلوف'[2] أول رئيس لها، 'داود سكور' (نائب رئيس)، 'نظير زيتون' (أمين سر)، 'يوسف البعيني' (أمين الصندوق) 'حبيب مسعود' (خطيب)، نصر سمعان، حسني الغراب، يوسف غانم، سكندر كرباح"[3]، كانوا ينشرون أعمالهم الأدبية في مجلة (العصبة) إذ تسلم رئاسة تحريرها منذ نشأتها الأديب "حبيب مسعود" "وهي أميل إلى المحافظة، ودعم الصلاة بين الشعر الجديد والقديم لأنهم عاشوا بين مهجرين إسبانيا في أمريكا الجنوبية وفيهم أدباء وشعراء يذكرون مجد العرب في الأندلس"[4]

أ- 2- الرابطة القلمية:

تمثل الرابطة القلمية في المهجر الشمالي الثورة على الموقوفين، فقد امتلأت صدور أكثر أعضائها بالآداب العالمية الحديثة المتنوعة، فأدركوا أن الأدب الحق إنما هو الإبداع وأن التقليد يحطم الأجنحة ويعقم الفكر. وهي الجماعة الوحيدة التي تضم أبرز أدباء المهجر.

وأخصبهم إنتاجا، ممن تجمعهم رابطة فكرية تصلح أن تميز فيهم إلى حد ما مدرسة أدبية قائمة بخصائصها في التفكير والتعبير وقد وصل إلينا نتاج زعيميها: جبران ونعيمة كاملا، ولا نعدم أن تقع على نموذجات صالحة من نتاج أعضائها الآخرين.

تأسست عام 1920م في الولايات المتحدة الأمريكية رأسها 'جبران خليل جبران'[5] (عميدا)، ويعاونه في إدارتها 'ميخائيل نعيمة' (مستشارا) و'ويليام كاتسفلين' (حارم) ويعمل تحت لوائها سبعة آخرون يحملون اسم العمال هم: 'إيليا أبو ماضي'، 'نسيب عريضة'، 'عبد المسيح حداد'، رشيد أيوب'، 'ندرة حداد'، 'وديع باحوط' 'إلياس عطا الله' كان أعضاء الرابطة العشرة "عصبة صغيرة" كما يقول نعيمة: "تعاونت قواها ولكن توحدت نزعاتها ومراميها، ولم يكونوا متكافئين في المواهب والإنتاج، ولكنهم كانوا متقاربين في الميولات الأدبية والذوق الفني"[6].

[1] نسيب نشاوي" مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر.(الإتباعية، الرومنسية، الواقعية، الرمزية) ص 177-178.
[2] عيسى الناعوري، أدب المهجر، دار المعرفة، مصر،ط3، 1977م، ص 17.
[3] حسين علي أحمد، أحمد زلط، الأدب العربي الحديث، الرؤية والتشكيلة، ط1، 2000، ص 148.
[4] المرجع نفسه، ص 148.
[5] جبران خليل جبران (1883-1931): هاجر إلى 'بوسطن' مؤلفاته عرائس المروج، الأرواح المتمردة، كتاب الموسيقى، - ينظر: جميل جبر: جبران خليل جبران في حياته العاصفة، مؤسسة نوفل، لبنان، 1981، ط1، ص14.
[6] عيسى الناعوري: أدب المهجر، ص 23.

كان إلياس عطا الله يتذوق الأدب على حدّ تعبير جورج صبيح، ولكنه لم ينشر شيئا باسمه، وانصرف 'رشيد أيوب' و'ندرة حداد' إلى الشعر، أما جبران ونعيمة ونسيب عريضة وإيليا أبو ماضي فقد كتبوا جميعا في الشعر والنثر.

ويقول عيسى الناعوري أن خمسة من أعضاء 'الرابطة القلمية' وصلت أسماؤهم إلى الشرق العربي أكثر من البقية من زملائهم ونالت حظوظها من التقدير والإعجاب بمقاييس متفاوتة، وهؤلاء هم: 'جبران ونعيمة وعريضة وأبو ماضي ورشيد أيوب' فقد كان صداهم مسموعا ومارست أشعارهم تأثيرات قوية في ساحة الأدب العربي.

وقد ناضل هؤلاء الشعراء في سبيل الأدب وتركوا الخيار لكل واحد لما يتفق مع مزاجه وطبيعته وطبيعة إنتاجه، واجتمعوا على رسم الأساليب الأدبية الفصحى، والتقييد بأحكامها.

لكن أبرز أهدافها تتضح في مبدأ المطالبة بدفع مستوى العقلية الأدبية ونقص التقاليد التي تنافي روح العصر وتؤدي إلى الجمود الفكري الأدبي، لما تتضمنه من جديد الأفكار والعواطف والخيال والأساليب.

ولمدرسة المهجر يد تذكر في تحريك الأدب العربي نحو الرقي والنهوض به، فهؤلاء تذوقوا الأدب العربي وشربوا الروح الرومنتيكية.

II– 2 – لمحة في حياة إيليا أبو ماضي:

إيليا بن ضاهر أبو ماضي، شاعر المهجر الأول، ولد في قرية المحيدثة بلبنان عام 1889، وترك المدرسة في سن مبكرة حوالي الحادية عشر من عمره ثم غادر إلى الإسكندرية سعيا إلى تحصيل الرزق، تأثر بالقرآن الكريم وبأفكار المعري وشعر أبي نواس، سافر إلى الإسكندرية سنة 1900 ظل يعمل بمصر في تجارة السجائر، وكان في أوقات فراغه ينظم الشعر وينشره في الصحف المصرية حتى اكتملت لديه مجموعة من القصائد جمعها في ديوان طبعه في مدينة الإسكندرية سماه "تذكار الماضي".

" ... أخذ يشتغل أوقات فراغه في المطالعة والدراسة ونظم الشعر الذي أظهر فيه صغره قابلية تنبؤ بمستقبله، ووقع عمله الأستاذ إنطوى الجميل فرآه يكتب شعرا في الدكان فقرأه وأعجب به ونشره في مجلة 'الزهور' التي كان يصدرها."[1]

وفي عام 1911 أصدر ديوانه الأول باسم "إيليا ضاهر أبو ماضي" وأهداه إلى الأمة المصرية بهذه الكلمة:" أيتها الأمة الودودة هذا ديواني الذي نظمته تحت سمائك

[1] صفوة نجدة فتحي، إيليا أبو ماضي والحركة الأدبية في المهجر، ص 02.

وبين مغانيك أرفع إليك لا طلبا للمتوبة ولا ابتغاءا للشكر ولكن إظهارا لما تكنه جوانحي من العطف عليك والتعلق بك".

هذه العاطفة الصادقة نحو مصر لا تفتر في صدر أبي ماضي على مد السنين بل أشار إليها أكثر من مرّة في شعره المنظوم في نيويورك.

جاد الكنانة عنّي وابل غدق.....وإني كالنّيل يغنيها عن الديّم
الشرق تاج، ومصر منه درّته..... والشرق جيش، ومصر حامل العلم
هيهات تطرّف فيها عين زائرها .....بغير ذي أدب أو غير ذي شمم
أحنى على الحرّ من أمّ على ولد.....فالحرّ في مصر كالورقاء في الحرك

وفي الحديث عن هجرته إلى أمريكا فهو يعد أحد أهم وأشهر شعراء المهجر، فالشاعر العربي في المهجر يمثل امتداد الرومنسي في الشعر الحديث، فهؤلاء الشعراء هاجروا من سوريا ولبنان إلى شمال أمريكا وجنوبها إما لأسباب اقتصادية أو سياسية أو فكرية.

نزح أبو ماضي إلى أمريكا الشمالية عام 1911 وأقام في سنساتي بأوهايو أربع سنوات بعيدا عن دنيا الأدب منصرفا إلى العمل التجاري مع أخيه الأديب مراد أبو ماضي وكان لهذه السنوات الأربعة تأثير على شاعريته التي تطورت بسرعة عجيبة حتى غاب عن قصائده المنظومة في خلال ذلك الشاعر المقلد الذي يقول في ديوانه الأول"[1]

بيض ترائبها سود ذوائبها .....زج حواجبها كحل مآقيها
قامت تصافحني والردف يمنعها..... والوجد يدفعها والقد يثنيها

أو يبكي على الأطلال:

لمن الديار تنوح الشمال..... ما مات أهلوها و لم يسترحلوا

كان شأنه في مصر شأن غيره من الشعراء، يستلهم بشعر العصر العباسي ويحاول أن يقلد البارودي وشوقي وحافظ في أساليبهم ولكنه حالما نزح عن المحيط المصري تقمص شعره روحا جديدة واستقل بطابع شخصي فنظم الروائع مثل قصيدة "ابنة الفجر" و"فلسفة الحياة" و "في الليل و الخلود "، وأصبح الركن الأول في بناء الشعر المهجري الحديث[2].

[1] جورج صيدح: أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، ص 272 وما بعدها.
[2] المرجع السابق ص 273.

ولإدراك مدى ذلك التطور نورد من قصيدة للشاعر في وصف الشلال:

فيه من السيف الصقيل بريقه ..... وله ضجيج الجحفل الجرار
بدأ يرش صخوره بدموعه..... أتداه يغسلها من الأوزار

وفي الغزل يقول:

أحب معانقة النرجس ..... لعينك يا ابنة كولومبس
وددت الإفاضة قبل اللقاء..... فلما لقيتك لم أنبس

ولم ينكر أبو ماضي حدوث هذا التطور في شعره بل يقول:

أيها السائل عني من أنا .....أنا كالشمس إلى الشرق انتسابي
لغة الفولاذ هاضت لغتي ..... لا يعيش الشدو في دنيا اصطخاب
لست أشكو إن شكا غيري النّوى .....غربة الأجسام ليست باغتراب

ونرى أن التطور لم يقتصر على نزع الرداء القديم عن صناعته بل تشمل نزعته وتفكيره، فذلك التشاؤم في ديوانه الأول القائل"

قالوا ترّقى سليل الطّين قلت لهم .....ألآن تمّ شقاء العالم الآنا
إنّ الحديد إذا ما لان صار مدى .....فكن على حذر منه إذا لانا

ثم أصبح في ديوانه الثاني رائد المتفائلين:

أيها الشاكي وما بك داء .....كيف تغدوا إذا غدوت عليلا
هو عبء على الحياة ثقيل..... من يضن الحياة عبئا ثقيلا

ومن بين الأسباب التي دفعته إلى الهجرة خرج وطنه الظلم والجور وغيرهما لأن أسباب هجرته لا تختلف عن أسباب هجرة الشعراء الآخرين عامة، وعلى الرغم من أنه ترك لبنان في سنّ مبكرة ثم ترك البلاد العربية متجها إلى أمريكا وهو في أول شبابه، وقد أظهر لنا في بعض شعره أسبابا عديدة تدفع بالإنسان إلى الهجرة، وهو يظهر لنا هذه

الأسباب مصورا الحالة في بلاده تصويرا مؤلما فيه وقاحة الواقع وضراوته ولقد ميزنا بعض الأبيات من قصيدة "وداع وشكوى" يعلل فيها أسباب هجرته يقول:[1]

نيويورك يا بنت البخار، بنا اقصدي ..... فلعلّنا بالغرب ننسى المشرقا
وطن أردناه على حبّ العلى ..... فأبى سوى أن يستكين إلى الشّقا
كالعبد يخشى ، بعدما أفنى الصبى..... يلهو به ساداته ، أن يعتقا
أو كلّما جاء الزمان بمصلح ..... في أهله قالوا. طغى وتزندقا؟
فكأنما لم يكنه ما قد جنوا..... وكأنما لم يكفهم أن أخفقا
هذا جزاء ذوي النّهى في أمّة ..... أخذ الجمود على بينها موثقا
وطن يضيق الحرّ ذرعا عنده..... وتراه بالأحرار ذرعا أضيقا
ما إن رأيت به أديبا موسرا.....فيما رأيت، ولا جهولا مملقا

من خلال هذه الأبيات والأبيات التي تليها يتضح لنا أن الفقر والجهل، فرديا وجماعيا والتناحر والاقتتال الطائفي والضغط السياسي وغير ذلك من الأمراض كانت تدفع الكثيرين ومنهم هذا الصبي الفتي إلى طلب اللقمة ولاستقرار في الخارج.

ورغم كل هذه الصعوبات والمعيقات إلا أنه كان متفائلا. "وللتفاؤل في شعره قوة الهروب من شعر رشيد لأنه لا يصوّر الشيء على حقيقته، ثم يواجه بعزيمة نفسية وإنما يرى الأشياء كما يجب أن يراها، أو يرى الناحية التي تعجبه فيها ويزحف لصاحبها مواضع الفيح واللم، وهذا شيء أقرب إلى الخداع النفسي منه إلى التفاؤل الصحيح"[2].

وفي الحديث عن التفاؤل وفلسفة الحياة في شعره يرى أبو ماضي أن الحياة في نظره سانحة من سوانح الوجود، على الإنسان أن ينظر إليها نظرة واقعية حافلة بالتفاؤل والاستمتاع، وهو يبدي شيئا من الاستسلام للقضاء والقدر ويجعل الرومانسية الجبرانية في أعماق نفسه ويغلفها بالرضى والبشاشة، واقتران تفاؤله بهذا الإحساس هو الذي أعطاه جدّته وتوهجه، والحياة الاجتماعية في نظر أبي ماضي هي حياة الواقع الإنساني التي يجب على الإنسان أن يلبسها كما هي، والسعادة هي انطواء نفسية على الذات القانعة"[3].

ويلاحظ الاغتراب من خلال شعر إيليا أبو ماضي، ففي مرحلته الأولى أرهق عاطفته الوطنية فجاء ديوانه مشتملا على خمسة عشرة قصيدة في المواضيع الوطنية نظمها خلال ثلاث سنوات ولم ينظم ما يماثلها عددا في الأربعين سنة التي تلت.

[1] إيليا ابو ماضي: ديوان إيليا أبو ماضي، ج2، ص 25.
[2] عباس إحسان ونجم محمد، الشعر العربي في المهجر، ص 140.
[3] حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجيل، ص 590.

كما يلاحظ أن الحيرة في أسرار الوجود بدأت تخامر ذهنه منذ ذلك العهد في سنساتي أوهايو، قبل أن يعرف نيويورك ويتصل بجبران وبأعضاء الرابطة القلمية.

وفي عام 1916 انتقل إلى نيويورك وتعرف على جبران وبعد ثلاث أعوام أصدر الجزء الثاني من ديوانه مع مقدمة جبران جاء فيها"

"في ديوان أبي ماضي سلالم بين المنظور وغير المنظور وحبال تربط مظاهر الحياة بخفاياها، وكؤوس تملأه بتلك الخمرة التي إن لم ترشفها تظل ظمآن حتى تمل الآلهة البشر فتغمرهم ثانية بالطوفان"

كما قال عنه "طه حسين" وهو شاعر نضحت ثقافته الفكرية واللغوية معا قبل أن يعرف جبران ونعيمة وتمكنت براعته مع تطويع العبارات واختيار الألفاظ لرسم الصور الشعرية فأصبحت قصائده كنوزا أدبية تتلقفها الأيدي وتتغنى بها الألسنة ويستظهرها الطلاب على مقاعد المدرسة"

بعد عشر سنوات من إقامته في نيويورك أصدر ديوان "الجداول" 1927 وفيها يتجلى منتهى نضجه الشعري، ندر أن يجتمع في ديوان واحد ما اجتمع في الجداول من القصائد الرائعة .

ومرّت الأعوام حتى قاربت العشرين والجداول تجري وأبو ماضي لا يرفضها بمعين جديد، حتى ضن الناس أنه نام على أمجاده.

إلى أن أصدر ديوان "الخمائل" عام 1946م امتدادا للجداول.

وقد تميزت أشعاره بالرقة والعذوبة والحنين إلى الوطن **ووصف الطبيعة**، قالت عنه فدوى طوقان[1]"" إنني أرفع أبو ماضي إلى القمة ولا أفضل عليه شاعرا آخر لا في القديم ولا في الحديث، فالشعر العربي لا يعرف له من نظير" وقد تميز شعره بقوة تدفق العاطفة، وشغف بالطبيعة ونزعة فلسفية، وأسلوب صاف رقراق، وبراعة في استنفاد المعنى وفي القصص الممتع الذي يعتمد فيه الشاعر المفاجأة والتشويق والدرامية فأبو ماضي شاعر إنساني رحب الآفاق"[2]

[1] فدوى طوقان: هي فدوى عبد الفتاح أغا طوقان ولدت عام 1917م بفلسطين وتحمل الجنسية الأردنية تلقت تعليمها الإبتدائي في نابلس ثم ثقفت نفسها بنفسها، والتحقت بدورات اللغة الإنجليزية والأدب الإنجليزي.
[2] حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجيل، ص 590.

II– 3 – تعريف شعر الطبيعة:

لقد أثرت الطبيعة ومكوناتها على حياة الشعراء وكلماتهم الطبيعية بنوعيها المطبوعة والمصنوعة، المطبوعة من حيث حبهم للخيل والإبل والصحراء والعشب والحقول، أما المصنوعة فقد أثرت من حيث المباني والبيوت والقصور والقلاع.

ولا أضن أن شاعرا أحب الطبيعة أكثر مما أحبها أبو ماضي، ولقد انعكس جمالها في جمال نفسه وصفاء سمائها في صفاء ألحانه، وانعكست عذوبة مائها في عذوبة ألفاظه ودقة ملاحظاته، وكأن الطبيعة شعر يصدق حبه لها، فهو باحث لأسرار سحرها.

فكان أبو ماضي يرى في كائنات الطبيعة الأصدقاء الأوفياء له إذ كان كلما تكون له شكوى يجد عندهم آذانا صاغية، وقلوبا مفتوحة واعية، وكثيرا ما كان يلتقي بأصدقائه هؤلاء، إما في أماكنهم المعتادة في البرية، أو في منزل أحد الأقرباء والرفاق.

وقد فجعت عيناه ذات يوم برؤية زهرة في إناء في أحد الصالونات الفخمة، فتألم أشد الألم لدى رؤيتها، لأنه لم يكن باستطاعته أن يخلصها من سجنها وعذابها فأنشدها:[1]

وَلا خانَ عَهدي في الحَياةِ حَبيبُ.....لَعَمرُكَ ما حُزني لِمالٍ فَقَدتَهُ
جَناها وَلوعٌ بالزُهورِ لَعوبُ .....وَلَكِنَّني أَبكي وَأَندُبُ زَهرَةً
رَآها يَحُلُّ الفَجرُ عَقدَ جُفونِها .....وَيُلقي عَلَيها تِبرَهُ فَيَذوبُ

فالطبيعة تعتبر المرح الخطيب بشاشة وابتسامة، وفي الواد العميق الأغوار شعورا بالحزن والكآبة، وكلما أرخى الليل سدوله على الكائنات، كانت عيناه تبصران ما فيها من جمال. وقد آل على نفسه أن يكون رسول الطبيعة إلى البشر ليدلهم على مواطن الجمال فيها وليحبب إليهم العيش في أحضانها والتقرب من كائناتها.

فشاعرنا يتأمل الطبيعة ويدرس مظاهرها ويتتبع أسرارها، شأنه شأن كل شعراء الرابطة القلمية، فيخرج من دراسته وتأملاته بمقارنات ومقابلات وحكم شتى، أهمها أن الطبيعة صالحة تنفع جميع البشر وتقدم النفع لهم من دون أن تسأل. وهي لا تفرق في تقديم نفعها بين إنسان وآخر، فيا ليت الناس يقلدون الطبيعة في العطاء.

فنجد عند شاعرنا نزعة إنسانية خالصة تسمو على كل النزعات، وروحا عالية تفوق كل الأرواح، إنه يحب الناس ويحب الحياة التي وجد الناس ويدعوهم إلى محبتها ففيها كل الخير والجمال.

[1] مجلة الجيش: العدد 221 تشرين الثاني 2003، إيليا أبو ماضي شاعر الطبيعة والعذوبة.

فالطبيعة جدبت الشعراء إليها، ووضعت القارئ في روضة من رياض الأزاهير الفواحة الأريج، المشعشعة بنقي النوار وبياضه، ونمير الماء وعذوبته، وزقزقة التغريد وحلو شدوه، وتسرح بخياله في عالم الغاب والحيوان والجمادات.

II- 4- الطبيعة في شعره:

إن التأمل والتفكير في الطبيعة وسحرها من أهم الموضوعات التي يعالجها الأدب الرومانسي، ففكر الشاعر وتأمله يضفي على قصائده جانبا يبرز في خباياه آراء وأحلام متضاربة، ولا سيما شعراء المهجر، الذين طرقوا هذا الموضوع "الطبيعة" مطولا، من بينهم إيليا أبو ماضي.

ولقد اتخذ هذا الأخير في فترة من فترات حياته دينا ودينا، وربما فعل ذلك فما يمكن أن نسميه عهد القلب. ففي ذلك العهد جعل الغاب شبيها بعالم المثل ونصح الإنسان أن يتشبه بالطبيعة في صورها العديدة من تراب ونهر وغدير ونجم.

تتلمذت لإنسان في الدّهر حقبة ..... فلّقتني غيّا، وعلّمني جهلا
نهاني عن قتل النّفوس .....رأى غرّة منّي تعلّم بي القتلا
وذّم إلّي الرقّ ثم استرقّني.....وصوّر ظلما فيه تمجيده عدلا

فشاعرنا اختار عشق الطبيعة لعدة أسباب:

1- تأثره بالمذهب الرومنسي:

أقبل أبو ماضي على الحياة متفائلا، ولم يجد غير الطبيعة لتكون منطلقا لتفاؤله ورومانسيته في الحياة، فقد عكس شعوره النفسي الرهيب على الطبيعة يقول في هذا الصدد:

السحب تركض في الفضاء الرحب ركض الخائفين
والشمس تبدو خلفها صفراء عاصبة الجبين
والبحر ساج صامت فيه خشوع الزاهدين[1]

وقف للطبيعة مقارنا بوضوح شديد بين مشاعره الخاصة والطبيعة الخارجية، فكما تغرب الشمس تغرب حياة الإنسان، وجعل سكونه وغربته وحيرته تنعكس على

[1] إيليا أبو ماضي: الديوان، دار العلم الملايين ،بيروت،ط2،ص 764.

البحر، فالبحر صامت خاضع، والشاعر يعيش لحظة اشتياق وتشتت، والطبيعة من حوله كذلك وبالتالي نقل أبو ماضي مشاعره وحملها للبيئة الطبيعية من حوله[1]

2- لأنه ابن بيئة طبيعية "لبنان":

كانت **الأرض** الكلمة الأكثر ورودا وشيوعا في شعر أبي ماضي، حاول رسم وطن في مخيلته يعيش فيه دون قيود وظلم متمتعا بكامل الحرية التي حرم منها الشاعر وأهله في لبنان خاصة، والوطن العربي عامة، لذلك هاجم أبو ماضي الظلم والاستعمار في معظم قصائده، وسمت روحه لتعانق الإنسانية، وشعر بظلم أخيه في الكون لأنه ذاق مرارة عذاب الظلم والاستعمار بالإضافة إلى الغربة التي أذاقته طعم الفراق والحنين.
وهذا ما جعله يكتب العديد من الأشعار وأهمها التي ظهرت في ديوان "تبر وتراب" و"تذكار الماضي". كانت هذه الإبداعات نتاج فترات زمنية متعاقبة، ومحطات مكانية متنوعة في حياته. فمن جبال لبنان إلى نيويورك ولكنه لم ينس قط الشرق العزيز ولبنان الحبيب الذي قال عنه:

لُبنانُ والأملُ الذي لذويهِ..... والشِّعرُ قال بنيتُ عرشي فيهِ
وتحُبُّهُ والثلجُ في واديهِ.....بقلائد العقيان تستغويهِ
بالأنجم الزهراءِ تسترضيهِ.....حتى أعودَ إليه أرضَ التيهِ
اثنان أعيا الدهرَ أن يُبليهما ..... سألوا الجمالَ فقال هذا هيكلي
تشتاقُهُ والصيفُ فوق هضابه ..... وإذا تمدُّ له ذُكاء حبالها
وإذا تُنَقِّطُهُ السماءُ عشيةً .....وطن يستبقى الأرضُ عندي كلها

فقد غنى لوطنه الثاني مصر التي كان له في في نفسه أثر كبير. فقد وجد فيها الرزق والعلم، وخطى فيها أولى خطواته يقول:

فكم لي في الناس من معتد .....أيا مصر أفديك بالأنفسين
أحبّك حتى تجف البحار .....وما أنا وحدي المحب الأمين

[1] ينظر: رجاء عيد، لغة الشعر قراءة في الشعر العربي الحديث، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د.ط) 2003م، ص 325.

3- رآى أن الطبيعة وحبها قائم على الإيثار والتضحية:

يقول:

وشاهدت كيف النهر يبذل ماءه ..... فلا يبتغي شكرا ولا يدّعي فضلا
وكيف يزين الطلّ وردا وعوسجا ..... وكيف يروّي العارض الوعر والسهلا
وكيف تغذّي الأرض ألأم نبتها ..... وأقبحه شكلا كأحسنه شكلا
فأصبح رأيي في الحياة كرأيها ..... وأصبحت لي دين سوى مذهبي قبلا
وصار نبيّ كلّ ما يطلق العقلا ..... وصار كتابي الكون لا صحف تتلى[1]

أصبح دينه كدين الغدير، تروي منه الطير والإبل ويغتسل فيه الذئب.

4- تعلمنا الحب الذي يخلق المساواة بين كل شيء في الكون

فقد حاول أبو ماضي أن يأخذ من فلسفة الطفولة عند "ووردز وورُث" بل عكس الأمر فأجمل الإشارة إليها وأوجزها إيجازا شديدا، إذ يقول:

وإن مربّي طفل رأيت به الورى من المثل الأدنى إلى المثل الأعلى.

5- اختياره أن يعيش حسب الطبيعة :

كاد أيضا أبو ماضي أن يصرح بأنه وجد الحقيقة في الطبيعة ووجد الحياة المثالية في أن يعيش حسب الطبيعة، وأن يعرف من خلالها الحب الذي لا ينتظر المكافأة كالزهرة الفواحة والبلبل المترنم، فنسمعه يقول:

عُدّ الكرامَ المحسنين وقِسْهُمُ..... بهما تجدْ هذينِ منهم أكرما
ياصاحِ خُذ علم المحبة عنهما ..... إني وجدتُ الحبَّ علما قيما
أيقظ شعورك بالمحبة إن غفا ..... لولا الشعور الناس كانوا كالدمى
أحبب فيغدو الكوخ قصرا نيرا ..... وابغض فيمسي الكون سجنا مظلما

ومن خلال الحب عرف الله

[1] إحسان عباس، الشعر العربي في المهجر، ط2، دار صادر- بيروت-1967، ص 78.

أنا بالحب قد وصلتُ إلى نفسي ..... و بالحبِّ قدْ عرفتُ الله

وكل فلسفة أبي ماضي في هذه الفترة تدل على الحب وعلاقته بالطبيعة أو الغاب.

ليكن بأمر الحبّ قلبك عالما في ذاته
فاصغي إلى صوت الجداول جاريات في السّفوح
واستنشقي الأزهار في الجنّات ما دامت تفوح

6- الحرية في الحب مستمدة من حرية الطبيعة والاندفاع نحو الحب موشح بمشيئة الله:

يقول

دعي اللاحي وما صنّف والقالي وبهتانه..... أللجدول أن يجري وللزهرة أن تعبق،
وللأطيار أن تشتاق أيارا وألوانه ..... وما للقلب ، وهو القلب، أن يهوى وأن يعشق؟

وتتمازج الدعوة إلى الحب الإنساني مع الحب في الطبيعة وتعانق اللهفة إليه مع الدعوة إلى الغاب والانطلاق إليها لكي يتمازج الشاعر وحبيبته كالخمر والماء والكأس والبلوغ إلى الفناء، يقول:

يريد الحب أن نضحك ..... فلنضحك مع الفجر
وأن نركض فلنركض ..... مع الجدول والنهر
وأن نهتف فلنهتف ..... مع البلبل والقمر[1]

7- وأيضا:

إن الدعوة إلى السعادة دائما ترفرف على حواشيها صورة الوحشة الأخيرة فعند أبي ماضي مثلا تبرز صورة الشجرة التي نمت ثم هبت عليها الأعاصير فحطمتها.

[1] المرجع السابق،ص،نفسها.

8- السوداوية التشاؤمية:

استعمل أبو ماضي الطبيعة في قصيدته رموزا للفرح والسعادة والقلق والتشاؤم، فهي تارة تبدو شاحبة كما بدت في عيني سلمى وخيالها ... وتارة تبدو ضاحكة كما بدت للشاعر بأزهارها، فقد عبّر عن تجربته النفسية في المهجر التي واجهها بالحب والإيمان والتفاؤل طريقا لخلاصه[1]
كما يقول في قصيدة المساء:

لكنّما عيناك باهتتان في الأفق البعيد
سلمى ... بماذا تفكّرين ؟
سلمى ... بماذا تحلمين ؟
أرأيت أحلام الطفوله تختفي خلف التّخوم ؟
أم أبصرت عيناك أشباح الكهوله في الغيوم ؟
أم خفت أن يأتي الدّجى الجاني ولا تأتي النجوم ؟
أنا لا أرى ما تلمحين من المشاهد إنّما
أظلالها في ناظريك
تنمّ ، يا سلمى ، عليك[2]

9- الحلول في الطبيعة:

وجد الشاعر الحقيقة الصوفية، وهو يحاول أن يعرف سامه في الغاب وجد إنه ابن الصلصال عبد لرغباته وشهواته إذ يقول:

وسأبقى ما دمت في قفص ..... الصلصال عهد المنى أسير الرغاب
خلت أني في القفر أصبحت وحدي .....فإذا الناس كلّهم في ثيابي

فهنا يمكننا أن نضع لفظة "الغاب" محل القفر لأنها أدل على روح القصيدة وأوثق صلة بجوهرها العام.

[1] المعوش سالم، الأدب العربي نماذج ونصوص، دار المواسم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1999م، ص 582.
[2] إيليا أبو ماضي: الديوان، ص 764.

10- الواقعية:

ونجده أيضا واقعيا بحيث يصور المظاهر الاجتماعية والواقعية التي كان يعيش في كنفها، كما فعل حين وصف القطار حيث يقول:

سرى يطوي بنا الأميال طيّا..... كما تطوي السّجلّ أو الإزارا
فلم ندر وجنح اللّيل داج .....أبرقا ما ركبنا أم قطارا
يسير بنا القطار ونحن نرجو .....لو اختصر الطّريق بنا اختصارا
و أقسم لو أحدّثه بما بي..... لحلّق في الفضاء بنا وطارا[1]

نرى أن الشاعر تأثر بالواقع وكان هذا جليا في أبياته هذه فوظف عناصر الطبيعة.

II- 5- التوليف والتوافق بين الطبيعة ونفسية أبي ماضي:

يملك ‘يليا أبو ماضي القدرة الجبارة في الخلق والإبداع لعناصر الطبيعة والتعبير عنها، فهو الذي يبدع كونه الخاص ومجالاته الساحرة الفاتنة ليرتع في افيائها وظلالها ومفاتنها مهما قست الحياة وأظلم الواقع وافتقد الأمل فيقول في هذا الصدد:

إذا أنا لم أجد حقلا مريعا..... خلقت الحقل في روحي وذهني
فكادت تملأ الأزهار كفي ..... ويعبق بالشذا الفواح ردني[2]

فمن هنا يبدو لنا الشاعر متفائلا وتفاؤله نزعة إنسانية عميقة الجذور في نفسه، كان يعلوها بين الحين والحين غبار الزمن فيخلع على بهائها وجمالها مسحة من الكآبة والحزن والأسى.

فكانت فلسفته الشعرية تقوم على التفاؤل ومحبة الناس وكأنما لقي في مهجره الجديد ما يعوضه من القهر النفسي واضطهاده في وطنه الأم "لبنان" وما شهده في مهجره من صراع وتكالب وتمزق في العلاقات الإنسانية، وقد عبّر عن فلسفته في كثير من أعماله الشعرية فيقول:

فاصغي إلى صوت الجداول جاريات في السّفوح
واستنشقي الأزهار في الجنّات ما دامت تفوح

[1] زهير ميرزا، إيليا أبو ماضي، شاعر المهجر الأكبر، ط2، دار اليقضة لبنان، ص 438.
[2] زهير ميرزا، إيليا أبو ماضي، شاعر المهجر الأكبر، الجناح الثقافي بدار اليقضة العربية، ص 79.

و تمتّعي بالشّهب في الأفلاك ما دامت تلوح
من قبل أن يأتي زمان كالضّباب أو الدّخان
لا تبصرين به الغدير
و لا يلذّ لك الخرير

ودعا في القصيدة إلى ترك ما لا يجب البحث عنه فيخاطب صاحبته سلمى قائلا:

مات النهار ابن الصباح فلا تقولي كيف مات
إنّ التأمّل في الحياة يزيد أوجاع الحياة
قدعي الكآبة والأسى واسترجعي مرح الفتاة
قد كان وجهك في الضّحى مثل الضّحى متهلّلا
فيه البشاشة والبهاء
ليكن كذلك في المساء [1]

كما نجد تنوع نظرته الإنسانية المتفائلة في الكثير من قصائده مؤكدا فلسفته الهادئة والداعية لتقبل الحياة فما جدوى التبرم والضيق والتشاؤم. فكان دائما يدعو إلى الابتسام في الحياة فيقول:

قال السماء كئيبة ! وتجهما ..... قلت: ابتسم يكفي التجهم في السما !
قال: الصبا ولى! فقلت له: ابتسم..... لن يرجع الأسف الصبا المتصرما
قال: التي كانت سمائي في الهوى.....صارت لنفسي في الغرام جهنما
خانت عهودي بعدما ملكتها..... قلبي ، فكيف أطيق أن أتبسما !
قلت: ابتسم واطرب فلو قارنتها.....لقضيت عمرك كله متألما
قال: الليالي جرعتني علقما .....قلت: ابتسم ولئن جرعت العلقما
أتُراك تغنم بالتبرم درهما.....أم أنت تخسر بالبشاشة مغنما ؟[2]

فلقد اعتبر المتشائم في الحياة الدنيا يظلم نفسه والكون رحيب عميق يمتلأ بالبهجة فيقول في قصيدة "كم تشتكي" مخاطبا بها كل من يشتكي ويبكي الحياة بإستمرار يقول:

[1] محمود حامد شوكت، مقومات الشعر العربي الحديث والمعاصر، دار الفكر العربي، (د.ط)، ص 231.
[2] المرجع نفسه ص 232.

كم تشتكي وتقول إنك معدم..... والأرض ملكك والسما والأنجم
ولك الحقول وزهرها ونخيلها .....ونسيمها والبلبل المترنم
والنور يبني في السفوح وفي الذرا ..... دورا مزخرفة وحينا يهدم
هشت لك الدنيا فما لك واجما؟ .....وتبسمت فعلام لا تتبسم؟
إن كنت مكتئبا لعز قد مضى .....هيهات يرجعه اليك تندُم
أو كنت جاوزت الشباب فلا تقل.....شاخ الزمان فإنه لا يهرم
أنظر فما زالت تطل من الثرى ..... صور تكاد لحسنها تتكلم[1]

وهكذا ينظر إيليا أبو ماضي إلى الكون والطبيعة بمنظار وردي جعله يتذوق الجمال فيقول:

أيها الشاكي وما بك داء ..... كيف تغدو إذا غدوت عليلا
إن شر الجناة في الأرض نفس .....تتوقّى قبل الرحيل رحيلا
وترى الشوك في الورود وتعمى ..... أن ترى فوقها الندى إكليلا
هو عبءٌ على الحياة ثقيلٌ.....من يظنّ الحياة عبئا ثقيلا
والذي نفسه بغير جمال ..... لا يرى في الوجود شيئا جميلا
فتمتّع بالصبح ما دمت فيه .....لا تخف أن يزوا حتى يزولا

فالشاعر هنا يرى أن الجمال موجود في نفس الإنسان منبثق عنها، ومن حرم هذه النعمة فقد حرم السعادة الحقيقية.

و قصيدة "الكمنجة المحطمة" تكشف لنا أخطر ظاهرة في شعر أبي ماضي وهي أن **القصيدة** عنده في أغلب الأحوال مولود طبيعي للأزمة النفسية، وتجيء هذه الأزمة صراعا بين حالتين، كالصراع بين الانقياد للعقل أو الخضوع للقلب أو الصراع بين التفاؤل والتشاؤم أو بين الشعور بالحاجة إلى الشعر، وفي كثير من الأحيان نستطيع أن نصف هذه القصيدة أو تلك بأنها من خلق أزمة ما، وهي أزمة نفسية متكررة ولعلها من العوامل التي منحت شعر إيليا أبو ماضي قوة وجمالا فقصيدته "الكمنجة المحطمة" إذن ليست ظاهرة شادة في شعره ولكنها طبيعية لفترات متدرجة من الإحساس بأن الشعر لم يعد خصبا غزيرا كما كان.

[1] إيليا أبو ماضي، الديوان، دار العلم الملايين، ط2، بيروت، ص 185.

وقد وقف أبو ماضي عند هذا الإحساس قبل هذه القصيدة وبعدها وقفات متفاوتة وكان يحوم دائما حول معنى واحد هو "الصمت" الذي يعانيه أو يلجأ إليه مضطرا يقول:

شاهَدتُها كَالمَيتِ في أَكفانِهِ ..... فَوَجَمتُ إِلّا عَبرَةً أَذريها
مَهجورَةً كَسَفينَةٍ مَنبوذَةٍ ..... في الشَطِّ غابَ وَرائَهُ ماضيها
نَسَجَت عَلَيها العَنكَبوتُ خُيوطَها ..... وَكَسى الغُبارُ غِلالَةً تَكسوها
أَقوَت وَباتَت كَالمَسامِعِ بَعدَها .....لا شَيءَ يُطرِبُها وَلا يَشجيها
وَكَأَنَّها في صَمتِها مَشدوهَةٌ ..... أَن لا تَرى بِهُتافِها مَشدوها
لا حِسَّ في أَوتارِها لا شَوقَ في .....أَضلاعِها لا حُسنَ في باقيها[1]

II- 6- نماذج من شعره في الطبيعة:

عند تطلعنا على شعر أبي ماضي وغصنا في البحث عن الطبيعة في شعره وجدنا أنه استخدم ألفاظ الطبيعة بكثرة ومعظمها من التراث، استخدمها السابقون، فعند قراءتها تشعر بأنها قريبة من النفس تاتي في سياق فني سلس وغير معقد ولعل هذا مرده إلى حداثة العصر، وشيوع المذهب الرومنسي وكأن المستمع يعيش في الطبيعة وينسى بأنه يسير صيغة الشاعر الفنية، ويمكن القول بأن الشاعر أحيانا لم يكن يهتم بالصورة والصيغة الفنية السامية في شعره بقدر سوقه لعدد كبير من مفردات الطبيعة كما نجد في قوله:

بالأرض كيف هوت عروش النّور عن هضباتها ؟
أم بالمروج الخضر ساد الصّمت في جنباتها ؟
أم بالعصافير التي تعدو إلى وكناتها ؟
أم بالمسا ؟ إنّ المسا يخفي المدائن كالقرى
و الكوخ كالقصر المكين
و الشّوك مثل الياسمين[2]

فبتأمل هذه الأبيات نجد الشاعر قد وظف كمّا من ألفاظ الطبيعة في مقطوعة واحدة. فكثرة الألفاظ تضفي نوعا من الخيال الروحي الذي يشد القارئ نحو الطبيعة وجمالها الفتان دون الالتفات للصورة الشعرية المتقنة واللغة الجزلة، فقد قصر الشاعر الممدود في القصيدة في لفظة "المسا" مع العلم أن قصر الممدود من الأمور التي يجيزها النحويون [3]. فألفاظ

[1] إيليا أبو ماضي، الديوان، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط15، ص 63.
[2] إيليا ابو ماضي، الديوان، ص 766.
[3] إبن عصفور أبو الحسن الإشبيلي، ضرائر الشعر، شرح خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1991م، ص 92.

الطبيعة طغت على ديوانه، وكأنها أصبحت الشغل الشاغل له دون الالتفات في بعض الأحيان إلى جزالة اللغة.

فكثرة ألفاظ الطبيعة دفعت الشاعر إلى التكرار في استخدام الكلمة نفسها أحيانا في القصيدة نفسها وأخرى في قصائد مختلفة، ولعل ظاهرة التكرار قديمة وخير دليل على ذلك سورة الرحمان في تكرار آية "فبأي آلاء ربك تكذّبان" مع أنه لا تشابه بين الصورتين. وهناك كلمات عدّة قام الشاعر بتكرارها فمثلا نجد كلمة الأرض واردة في الديوان أكثر من **مئتي مرة** وهذا شيء لافت للنظر.

وبعد هذه اللمحة المختصرة على كثرة ألفاظ الطبيعة عند إيليا أبو ماضي، نورد الآن بعض النماذج من شعره في الطبيعة.

فشاعرنا طرح أسئلة كثيرة ومتنوعة يسير الوصول لإجابتها عن طريق التأمل والاستبصار بالكون الذي يحيط به. فالإنسان لا يستطيع الوصول إلى السعادة الحقيقية إلا عن طريق الحب والتفاؤل والأمل.

ويسترسل أبو ماضي في قصيدته قائلا:

لتكن حياتك كلّها أملا جميلا طيّبا
و لتملإ الأحلام نفسك في الكهولة والصّبى
مثل الكواكب في السماء وكالأزهار في الرّبى
ليكن بأمر الحبّ قلبك عالما في ذاته
أزهاره لا تذبل
و نجومه لا تأفل [1]

ونجده في أبيات أخرى عاشق للطبيعة بكل ما فيها من موجودات حيّة أو صامتة، ولعل هذا العشق نابع عن الوطن الهادئ الذي لا يعرف الصخب والضجيج، ولأنه عربي يرفض الابتعاد عن وطنه الأم، فظل متصلا ببلاده عن طريق الهروب إلى الطبيعة، فنجده يقول:

سئلت ما راق نفسي من محاسنها؟..... فقلت للناس : باديها وخافيها
وما حببتَ من الأشجار؟ قلتُ لهم : ..... إنّي افتتنت بكاسيها وعاريها
وما هويت من الأزهار؟ قلت لهم : .....ألحبّ عندي لناميها وذاويها

[1] إيليا أبو ماضي:الديوان، ص 767.

قالوا : وما تتمنّى؟ قلت مبتذرا:.....يا ليتني طائر أو زهرة فيها
فربّ أنشودة من بلبل غرد..... حوت حكاية حبّ خفت أحكيها[1]

فهو ظل يشعر بالآخرين يحمل قلبا رقيقا، يبكي على مصائب أخيه الإنسان، فيقول في قصيدة: ((فلوريدا)):

تهيج بي الذكرى البروق ضواحكا ..... وتغري بي الوجد الطيور شواديا
فأبكي لما بي من جوى وصبابة .....وأبكي إذا أبصرت في لأرض باكيا
فلا تحسباني أذرف الدّمع عادة .....ولا تحسباني أنشد الشعر لاهيا
و لكنّها نفسي إذا جاش جأشها..... وفاض عليها الهمّ فاضت قوافيا[2]

فالشاعر لا يطيق رؤية الباكين على وجه البسيطة، هذا الشعور الإنساني والعاطفة المتأججة في نفس الشاعر جعلاه يدرك قيمة أدبية عالية يتميز بها بين الشعراء الآخرين وعامة الناس.

فكان دائما يرغب في إدخال البهجة والسعادة إلى النفوس المتألمة يقول:

قال السماء كئيبة ! وتجهما ..... قلت: ابتسم يكفي التجهم في السما !
قال: الصبا ولى! فقلت له: ابتسم..... لن يرجع الأسف الصبا المتصرما !!
قال: الليالي جرعتني علقما ..... قلت: ابتسم ولئن جرعت العلقما
فلعل غيرك إن رآك مرنما..... طرح الكآبة جانبا وترنما
قال: البشاشة ليس تسعد كائنا ..... يأتي إلى الدنيا ويذهب مرغما

فالشاعر في هذه الأبيات يحاول أن يغير النظرة القاتمة التي يرى بها المتألم ويشير له فإنه لا بد من النظر إلى الجانب المشرق من الحياة، حياة الأمل والتفاؤل.

وفي موضع آخر ينصح الإنسان المتكبر بالتواضع فيقول:

أنت للأرض أولا وأخيرا ..... كنت ملكا أو كنت عبدا ذليلا
لا خلود تحت السّماء لحيّ ..... فلماذا تراود المستحيلا ؟..

[1] المصدر نفسه،ص 810.
[2] المصدر السابق، ص 816.

كلّ نجم إلى الأقوال ولكنّ ..... آفة النّجم أن يخاف الأقولا
غاية الورد في الرّياض ذبول ..... كن حكيما واسبق إليه الذبولا

إنه يذكّر الإنسان المتكبر المتعالي بأنه مهما علا شأنه فإنه يبقى إنسانا من تراب وسيعود إلى التراب مثله مثل الأزهار التي مصيرها الذبول في نهاية الأمر بعد ما كانت مشرقة مزهرة.

ويدعو في أبيات أخرى إلى التواضع وحسن التعامل مع الآخرين وقد مثل لهذا بعناصر جميلة من الطبيعة، يقول:

كن غديرا يسير في الأرض رقراقا..... فيسقي من جانبيه الحقولا
تستحم النّجوم فيه ويلقى ..... كلّ شخص وكلّ شيء
لا وعاء يقيّد الماء حتى..... تستحل المياه فيه وحولا
كن مع الفجر نسمة توسع الأزهار ..... شمّا وتارة تقبيلا
لا سموما من السّوافي اللّواتي ..... تملأ الأرض في الظّلام عويلا
ومع اللّيل كوكبا يؤنس الغابات..... والنّهر والرّبى والسّهولا
لا دجى يكره العوالم والنّاس ..... فيلقي على الجميع سدولا[1]

إضافة إلى ذلك ظل يصبو إلى حياة الغاب ،والحنين إلى الغاب أصدق تعبير عن أشواق النفوس إلى السعادة والوحدة والمحبة والخلود، فعندما يشعر أبو ماضي بالملل ويدرك كذب الناس يهرب إلى حياة الغاب البعيدة عن الزيف والمؤامرات، فيقول في إحدى قصيدة (في القفر):

سَئِمَت نَفسي الحَياةَ مَعَ الناسِ..... وَمَلَّت حَتّى مِنَ الأَحبابِ
وَتَمَشَّت فيها المَلالَةُ حَتّى ..... ضَجِرَت مِن طَعامِهِم وَالشَرابِ
وَمِنَ الكَذِبِ لابِساً بُردَةَ الصِدقِ..... وَهَذا مُسَربَلاً بِالكِذابِ
وَمِنَ الواقِفينَ كَالأَنصابِ ..... وَمِنَ الساجِدينَ لِلأَنصابِ
وَالأُلى يَصمُتونَ صَمتَ الأَفاعي..... وَالأُلى يَهزِجونَ هَزجَ الذُبابِ
قالَتِ اِخرُج مِنَ المَدينَةِ لِلقَفرِ ..... فَفيهِ النَجاةُ مِن أَوصابي[1]

[1] المرجع السابق ص 625.

فقد توحد الشاعر مع حياة الغاب، أحب العيش في القفار كالطير يرزقه الله تعالى من حيث لا يدري دون حاجته لحياة الصخب والضجيج فيسترسل قائلا:

ولتكحّل يد المساء جفوني .....ولتعانق أحلامه أهدابي
وليقبّل فم الصباح جبيني.....وليعطّر أريجه جلبابي
ولأكن كالغراب رزقي في الحقل، ..... وفي السفح مجثمي واضطرابي
ساعة في الخلاء خير من الأعوام .....تقضى في القصر والأحقاب[2]

ولذلك ذمّ الشاعر التقدم العمراني الذي طالت يده الأشجار واجتثتها من أجل البناء، وتعلق بحياة الغاب مصرّا على بقائه وعدم تلاشيه، فيقول في ذلك:

لله في الغابة أيّمنا .....ما عابها إلاّ تلاشيها
طورا علينا ظلّ أدواحها ..... وتارة عطف دواليها
و تارة نلهو بأعنابها ..... وتارة نحصى أقاحيها
قد بدّل الإنسان أطوارها ..... واغتصب الطيّر مآويها
وفتّ بالبارود جلمودها ..... واتثّ بالفأس دواليها
و شاد من أحجارها قرية ..... سكّانها الناس وأهلوها
يا لهفة النّفس على غابة..... كنت وهندا نلتقي فيها[3]

يشير في هذه الأبيات إلى الغابة التي عشقها، وحين تحدث عنها اشار إلى الدوالي والأعناب ولعله يقصد غابته لبنان.

لم يقف تجاوبه الشعوري مع الطبيعة بالوانها وطيورها، بل شعر بألم الكائنات وحزن لحزنها وبكى لبكائها. فيقول في إحدى قصائده:

لو كان لي غير قلبي عند مرآك .....لما أضاف إلى بلواه بلواك
فيم ارتجاجم هل في الجوّ زلزلة ..... أم أنت هاربة من وجه فتّاك؟
وكم تدورين حول البيت حائرة..... بنت الربى ليس مأوى الناس مأواك
قالوا فراشة حقل لا غناء بها..... ما افقر الناس في عيني وأغناك!

[1] إيليا أبو ماضي، الديوان، ص 150.
[2] المصدر نفسه، ص 150.
[3] المصدر نفسه، ص 802-203.

حلمت أن زمان الصّيف منصرم..... ويلاه! حقّقت الأيام رؤياك
فقد نعاه إليك الفجر ترتعشا .....وليس منعاه إلاّ بعض منعاك
مضى مع الصّيف عهد كنت لاهية .....على بساط من الأحلام ضحّاك[1]

يتألم الشاعر على ربيع الفراشة الذي أنقضى عهده، وزوال الفرحة التي انتهت مع ذهاب الربيع وحلول الصيف فيبدولنا أن الشاعر متيم بعشق الأرض الخضراء، ومن أصحاب الشعار الذي يحث على بقاء الأرض خضراء، ومن الذين يمقتون الحروب التي تعيث في الأرض فسادا، ونجده في موضع آخر يصف المناظر الطبيعية بجمالها الخلاب يقول:

" أيلول " يمشي في الحقول وفي الربى..... والأرض في أيلول أحسن منظرا
شهر يوزّع في الطبيعة فنّه.....شجرا يصفّق أو سنا متفجّرا
فالنور سحر دافق، والماء شعر ..... رائق ، والعطر أنفاس الثرى
لا تحسب الأنهار ماء راقصا .....هذي أغانيه استحالت أنهرا
وانظر إلى الأشجار تخلع أخضرا ..... عنها، وتلبس أحمرا أو أصفرا
تعرى وتكسى في أوان واحد..... والفنّ في ما ترتديه وفي العرا
و تذوب أصباغا كألوان الضحى ..... وتموج ألحانا وتسرى عنبرا[2]

فنجده هنا يصف المناظر الطبيعية الرائعة التي مرّ بها في طريقه إلى مونتريال فقد صوّرها في لوحة فنية جميلة من خضرة الحقول وتصفيف عجيب للأشجار التي تضفي على هذه اللوحة جمالا خاصا.

ويصف الأنهار التي كانت مياهها ترقص كما يرقص السامع للأغاني فيقول:

كأنّي في روض أرى الماء جاريا .....أمامي، وفوقي الغيم يجهد بالنشر
توهّمته هما فقلت له انجلي ..... فإنّ همومي ضاق عن وسعها صدري
جلست أبثّ الزّهر سرّا كتمته .....عن الناس حتّى صرت أخفى من السّرّ
كأنّي بدر ، والزهور كواكب،..... وذا الروض أفق ضاء بالبدر والزهر
تحيط به الأشجار من كلّ جانب ..... كما دار حول الجيد عقد من الدّر
و قد رقمت أغصانها في أديمه..... كتابا من الأوراق، سطرا على سطر[1]

[1] إيليا أبو ماضي، الديوان، ص 522.
[2] زهير ميرزا، شاعر المهجر الأكبير، ص 452.

نلاحظ من خلال هذه الأبيات التصوير الرائع للطبيعة من طرف أبو ماضي، هذا الشاعر الذي نشأ في بلد الحقول والأزهار بلبنان بلد الجداول والأنهار والطيور، كل هذا ترسخ وبقي في ذاكرته حتى بعد هجرته إلى البلدان الأخرى وهذا ما أدى به إلى الإبداع والخلق والتفنن في قول الشعر حيث وصف الكثير من عناصر الطبيعة منها، البحر والنهر والشلال والصيف والربيع.

1- البحر:

حيث يصوره فيقول فيه:

قد سألت البحر يوما هل أنا يا بحر منكا؟
هل صحيح ما رواه بعضهم عني وعنكا؟
أم ترى ما زعموا زوار وبهتانا وإفكا؟
ضحكت أمواجه مني وقالت:
لست أدري!
أيّها البحر، أتدري كم مضت ألف عليكا
وهل الشّاطىء يدري أنّه جاث لديكا
وهل الأنهار تدري أنّها منك إليكا
ما الذّي الأمواج قالت حين ثارت؟
لست أدري![2]

ففي هذه الأبيات يقدم لنا محاسن البحر وما يفيد الإنسان ولكنه يعود ويقول أبيات يوضح فيها أخطاره ومساوئه يقول:

برفض الموج وفي قاعك حرب لن تزولا
تخلق الأسماك لكن تخلق الحوت الأكولا
قد جمعت الموت في صدرك والعيش الجميلا
كم فتاة مثل ليلى وفتى كأبن الملوح
أنفقا السّاعات في الشّاطىء ، تشكو وهو يشرح [1]

[1] المرجع نفسه، ص 428.
[2] ديون الجداول،دار كاتب وكتاب،بيروت،لبنان، 1988،ص 142.

2- النهر:

يعبّر عن هذا في قصيدته "الغدير الطموح" إذ يقول:

قال الغدير لنفسه..... يا ليتني نهر كبير
مثل الفرات العذب أو .....كالنيل ذي الفيض الغزير
تجري السفائن موقرات ..... فيه بالرزق الوفير
هيهات يرضى بالحقير ..... من المنى إلاّ الحقير
وانساب نحو النهر لا ..... يلوي على المرج النضير
حتى إذا ما جاءه ..... غلب الهدير على الخرير[2]

فالشاعر استعمل النهر أو الغدير ليعبر عن قضية إنسانية تتمثل في الحب المستمر للشهرة والنجومية من طرف الإنسان، فالغدير في هذه الأبيات يتمنى لو كان نهرا كبرا، فهو لم يقنع بما هو عليه بل يطمح إلى ما هو أكبر منه.

3- الشلال:

عندما زار أمريكا رسم صورة بديعة لشلال "ميلفيرد" الشهير، يقول في هذه الأبيات:

شلال " ملفرد " لا يقرّ قراره .....وأنا لشوقي لا يقرّ قراري
فيه من السيف الصقيل بريقه ..... وله ضجيج الجحفل الجرّار
أبدا يرش صخوره بدموعه ..... أتراه يغسلها من الأوزار ؟
فاذا تطاير ماؤه متناثرا .....أبصرت حول السفح شبه غبار
كالبحر ذي التّيار يدفع بعضه ..... ويصول كالضرغام ذي الأظفار

والملاحظ من خلال هذه الأبيات أن الشاعر لا يخلو كلامه من شوقه وحنينه إلى وطنه.

[1] المصدر نفسه، ص 144-145.
[2] المصدر السابق، ص 138.

4- الربيع:

وفيه يقول:

عاد الربيع إلى الدنيا بموكبه..... فازّينت واكتست بالسندس الشجر
و ظلّت التينة الحمقاء عارية..... كأنّها وتد في الأرض أو حجر[1]

فالشاعر هنا يذكر لنا ما يحمله الربيع من بهاء وجمال المنظر وخاصة في البيت الأول، ويبيّن كيف تعود الحياة للأرض بقدوم الربيع.

5- الصيف:

يصفه قائلا:

عاد للأرض مع الصيف صباها..... فهي كالخود التي تمّت حلاها
صور من خضرة في نضره..... ما رآها أحد إلاّ اشتهاها
ذهب الشمس على آفاقها ..... وسواد اللّيل مسك في ثراها
و نسيم في أشجارها .....وشوشات يطرب النهر صداها[2]

في هذه الأبيات يصف لنا الشاعر الصيف وما يحمله من بهجة وسرور حيث أنه يعيد للحياة رقتها وحيويتها وشبابها، وقد أحسن التصوير بقوله إنه عندما يعود هذا الفصل يعود للأرض صباها وصغرها فقد شبه أرضه بالخود الذي تمت حلاها في خضرتها ولون الشمس عند المغيب بذلك اللون الذهبي. ويصف الصيف من زاوية أخرى مغايرة فيقول:

إنّها الجنة فأعجب لامرئ..... هو فيها وقليلا ما يراها
أيّها المعرض عن أزهارها..... لك لوتعلم،ياهذا،شذاها
أيّها النائم عن أنجمها ..... خلق الله لعينيك سناها
أيّها الكابح عن لذّاتها..... نفسه،هيهات لن تعطى سواها
عندما ردّ إلى الأرض الصّبا ..... ردّ أحلامي التي الدهر طواها[1]

[1] المرجع السابق، ص 339.
[2] المرجع نفسه، ص 808.

صوّر الشاعر الصيف بأنه جنّة على الأرض، وتلك النجوم والأزهار وما فيها من تأثير على نفسية الإنسان فدعاه للاستمتاع به.

6- النجوم:

فقد عبّر عنها من أوجه مختلفة فمنها النجم المعبّر عن الوطن، والنجم الذي هو عنصر جميل مضيء في السماء يقول في قصيدة بعنوان "وطن النجوم":

وطن النجوم ... أنا هنا .....حدّق ... أتذكر من أنا ؟
ألمحت في الماضي البعيد.....فتى غريرا أرعنا ؟
جذلان يمرح في حقولك..... كالنسيم مدندنا
ألمقتني المملوك ملعبة ..... وغير المقتنى!
يتسلّق الأشجار لا ضجرا..... يحسّ ولا ونى
خلق النجوم وخاف أن..... تغوي العقول وتفتنا
و مرارة الفقر المذلّ ..... بل ، ولذّات الغنى
لكنّه مهما سلا .....هيهات يسلو الموطنا[2]

فنجده يوظف النجوم للتعبير عن الوطن فهو يحن إليه ويعتبره وطن النجوم.

7- السماء:

هذا النجم الذي يكون في السماء التي عبر عنها الشاعر بكل ما قد تحمله من معان فيقول:

لا تسألني عن السماء فما عندي.....إلا النعوت والأسماء
هي شيء وبعض شيء وحينا .....كل شيء وعند قوم هباء
فسماء الراعي كما يتمناها..... مروج. فسيحة خضراء
تلبس التير مئزرا ووشاحا ..... كلما أشرقت وغابت ذكاء
وهي عند الفقير أرض وراء .....الأفق، فيها ما يشتهي الفقراء
وهي عند المظلوم أرض كهذي..... الأرض لكن قد شاع فيها الإخاء

[1] المرجع السابق ص 808.
[2] زهير ميرزا- ص 756.

وهي عند الخليع أرض تميس.....الحور فيها، وتدفق الصهباء
كلّ قلبٍ له السماء الذي يهوى..... وإن شئتَ كل قلبٍ سماء[1]

8- القمر:

يقول الشاعر:

وعيونٍ بالنهى عابثةٍ ..... جذب الغنجُ إليها الخفرا
شُغفت بالبدر حباً فهي لا .....تعرفُ الغمض إلى أن يسفرا
وقفت ترقبهُ في ليلةٍ..... مثل حظ الأدباءِ الشعرا
تكتمُ الظلماءُ من لألأها .....أي بدرٍ في الظلامِ استترا؟
أرسلت نحو الدراري لفتة..... أذكرت تلك الدراري القمرا
وإذا بالبدر قد مزق عن..... وجهه برقعه ثم انبرى[2]

فهو يصف جماليات القمر بتصوير رائع.

[1] الجداول، الديوان، ص 23.
[2] المرجع السابق، ص 457.

الفصل الثالث

دراسة فنية في ديوان الخمائل

III– الفصل الثالث: دراسة فنية في ديوان الخمائل .

III- 1 - اللغة، الموسيقى، الصورة، الشعر.

III- 1 – أ- تحليل قصيدة الطين.

III- 1 – ب -

III- 2 - خاتمة

III- 1 – اللغة، الموسيقى، الصورة، الشعر.

III- 1 – أ- تحليل قصيدة الطين.

بعض أبيات قصيدة الطين

نَسِيَ الطينُ ساعَةً أَنَّهُ طينٌ.....حَقيرٌ فَصالَ تيها وَعَربَد
وَكَسى الخَزُّ جسمَهُ فَتَباهى .....وَحَوى المالَ كيسُهُ فَتَمَرَّد
يا أَخي لا تَمِل بِوَجهِكَ عَنّي.....ما أَنا فَحمَة وَلا أَنتَ فَرقَد
أَنتَ لَم تَصنَعِ الحَريرَ الَّذي .....تَلبَس وَاللُؤلُؤَ الَّذي تَتَقَلَّد
أَنتَ لا تَأكُلُ النُضارَ إِذا جِع .....ت وَلا تَشرَبُ الجُمانَ المُنَضَّد
أَنتَ في البُردَةِ المُوَشّاةِ مِثلي.....في كِسائي الرَديمِ تَشقى وَتُسعَد
لَكَ في عالَمِ النَهارِ أَماني .....وَرُؤى وَالظَلامُ فَوقَكَ مُمتَد
وَلِقَلبي كَما لِقَلبِكَ أَحلا .....مٌ حِسانٌ فَإِنَّهُ غَيرُ جَلمَد
أَأَمانِيَّ كُلُّها مِن تُرابٍ .....وَأَمانيكَ كُلُّها مِن عَسجَد
وَأَمانِيَّ كُلُّها لِلتَلاشي.....وَأَمانيكَ لِلخُلودِ المُؤَكَّد
لا فَهَذي وَتِلكَ تَأتي وَتَمضي.....كَذَويها وَأَيُّ شَيءٍ يُؤَبَّد
أَيُّها المُزدَهي إِذا مَسَّكَ السُق .....مُ أَلا تَشتَكي أَلا تَتَنَهَّد
وَإِذا راعَكَ الحَبيبُ بِهَجرٍ .....وَدَعَتكَ الذِكرى أَلا تَتَوَجَّد
أَنتَ مِثلي يَبَشُّ وَجهُكَ لِلنُعمى.....وَفي حالَةِ المَصيبَةِ يَكمَد
أَدُموعي خِل وَدَمعُكَ شَهدٌ.....وَبُكائي زُل وَنَوحُكَ سُؤدُد
وَابتِسامي السَرابُ لا رَيَّ فيهِ.....وَابتِساماتُكَ اللَآلي الخَرَّد
فَلَكٌ واحِدٌ يُظِلُّ كِلَينا .....حارَ طَرفي بِه وَطَرفُكَ أَرمَد
قَمَرٌ واحِدٌ يُطِلُّ عَلَينا .....وَعَلى الكوخ وَالبِناءِ المُوَطَّد
إِن يَكُن مُشرِقاً لِعَينَيكَ إِنّي.....لا أَراهُ مِن كُوَّةِ الكوخِ أَسوَد
النُجومُ الَّتي تَراها أَراها.....حينَ تَخفى وَعِندَما تَتَوَقَّد
لَستَ أَدنى عَلى غِناكَ إِلَيها.....وَأَنا مَعَ خَصاصَتي لَستُ أُبعَد[1]

[1] إيليا أبو ماضي: ديوان الجداول، دار كتاب وكتاب، بيروت، لبنان، 1988، ص 39-41.

تلخيص مضمون القصيدة

هذه القصيدة هي رمز للإنسانية التي يجب أن تنمحي فيها آثار التفرقة وتزول منها معالم التميز وترسخ في أرضها جذور المساواة وتجري فيها دماء المحبة والشاعر هنا في قصيدته يحاول أن يضع الإنسان عامة والإنسان المتكبر خاصة في حجمة الطبيعي بعيداً عن الكبر والتجبر حيث خاطبه الشاعر في مطلع قصيدته بأصله ليكشف عن حقيقة الإنسان ووصفه بالطين الذي يعبر عن أصله الذي لا ينكره أبداً مهما بلغ وتجبر وتكبر، ورأينا كيف يحاول الشاعر كشف الأقنعة التي يختفي وراءها الإنسان ليخفي حقيقته ويستر نقصانه بما يبدي من استعلاء، ويسرع الشاعر في نصب الموازين وهي مبررات التواضع التي يجب على الإنسان أن يتحلى بها والابتعاد عن الكبرياء والزهو، وأول تلك المبررات المساواة المطلقة بين سائر الناس فكلهم يرجعون إلى أصل واحدٍ، ذلك الطين الحقير، فهو يساوي بين الفقير والغني.

فإيليا أبو ماضي قد عانى كثيرًا من آثار التفرقة العنصرية عندما هاجر إلى أمريكا، حيث ينظر الأمريكي إلى غيره نظره دونية باستعلاء وتكبر كأنهم ليسوا أناس مثله، وقد نظم هذه القصيدة لهذا السبب وخاطب الإنسان الغربي المتكبر.

تحديد الفكرة العامة والأفكار الأساسية:

الفكرة العامة:

دعوة الإنسان المتكبر إلى التواضع وتذكيره بأصله.

الأفكار الأساسية:

1- يتحدث الشاعر في مطلع القصيدة عن صفات الإنسان المتكبر.
2- أما في متنها وصلب موضوعها فيقارن بين المتواضع والمتكبر.
3- ليختم في الأخير بالدعوة إلى التواضع وتعمير القلب بالمحبة والتآخي.

دراسة الأفكار:

الغرض:

القصيدة من الشعر الاجتماعي الهادف، تناول فيها الشاعر دعوة الإنسان إلى نبد التكبر والتحلي بخلق التواضع بهدف إصلاح الفرد ليصلح المجتمع بأكمله.

وهو غرض بدأ يحبو في العصر العباسي على يد ابن الرومي في مقطوعاته الشعرية، لكنه عرف تطورا وازدهارا لا مثيل له في العصر الحديث لتنوع المشاكل والآفات

خاصة منها الاجتماعية وظهور الصحافة ووعي الأدباء بأهمية دورهم في إخراج الناس من الظلمات الداجية إلى نور الصلاح والفلاح.

الأفكار من حيث الترتيب:

أفكار الشاعر مرتبة، استهلها بوصف المستبد وغطرسته، ثم أجرى مقارنة بين المتواضع والمتكبر ليخلص في الأخير إلى وجوب ترك التكبر والتواضع مع الآخرين.

وهي ذات وحدة عضوية شديدة التلاحم لا يمكن فصل فكرة عن الأخرى دون أن يختل المعنى.

من حيث الوضوح والعمق:

الأفكار واضحة تتأقلم مع الهدف، فالموضوع في متناول الجميع، وهي عميقة وغزيرة حيث تعمَّق في تحليل نفسية المتكبر، وفي إجراء المقارنة من أوجه متعددة ليثبت أنه لا فرق بين هذا الإنسان المتكبر والإنسان البسيط إلا في وهمه.

من حيث الجِدَّة والقِدَم:

الأفكار جديدة من نواحي عديدة، حيث حلّق الشاعر في الأفاق الإنسانية الرحبة فجعل قصيدته تخاطب كل البشرية دون استثناء.

اللجوء إلى الطبيعة التي تعد من وسائل الرومنسيين في التعبير عن التجربة الشعرية.

من حيث الإقناع:

يهدف الشاعر إلى دعوة الإنسان لنبذ رذيلة التكبر فاستعمل الكثير من الأمثلة والأدلة ليقنع القارئ، منها التكرار والإكثار من الأمثلة والأدلة العقلية المتمثلة في تساؤلات تجمع بين أفكار متناقضة يخاطب بها العقل والمنطق وأخرى عاطفية وجدانية، كما استعمل التقديم والتأخير لتوكيد أرائه وأفكاره مثل:

وَحَوى المالَ كيسُهُ فَتَمَرَّد (البيت الثاني)

فقدّم المفعول به وهو "المال" على الفاعل وهو "كيسه" أصلها:

حوى كيسه المال فتمرد.

ونجده كذلك في البيت (06) في قوله

أَنتَ في البُردَةِ المُوَشّاةِ مِثلي

قدّم الجار والمجرور ليؤكد خداع المظاهر، وأصلها: أنت مثلي في البردة الموشاة

وقد استمد الكاتب أفكاره من ثقافته الواسعة وحياته في المجتمعات المختلفة.

دراسة الأسلوب:

الألفاظ والعبارات:

ألفاظه مناسبة لأحاسيسه ومشاعره ومعانيه، سهلة رقيقة واضحة (يا أخي،لقلبك، أحلام)، وهناك ألفاظ توحي بالتكبر والغرور (صال تيها، عربد، جلمد، تمرد).

واحتار لفظة "الطين" التي توحي بأصل الإنسان ومصيره، فهي دعوة صريحة للتواضع.

ولفظة "فحمة" توحي بقلة الأهمية والبخس والتفاهة، وقد استوحى معظم ألفاظه من الطبيعة "فحمة، فرقد – وهو النجم القطبي – ، الطين، النور، الليل، الضباب، التراب، قمر، شهد، نجوم، نهر، نسيم، هواء، الماء، الحقل، الطير".

الخبر والإنشاء:

تراوحت أساليب القصيدة بين الخبر والإنشاء.

الخبر تمثلت أغراضه في إبراز سخط الشاعر واستنكاره لسلوك المتكبر مثل: "نسي الطين" ، وغرضه الإستنكار والرفض لهذا السلوك ونجده في بيت آخر من القصيدة يقول :

فَامنَعِ اللَيلَ أَن يَمُدَّ رَواقاً.....فَوقَه وَالضَبابَ أَن يَتَلَبَّد[1]

"فامنع الليل" هو أسلوب خبري بصيغة الأمر غرضه التعجيز، أما الإنشاء فقد تنوعت أساليبه منها النداء في قوله "يا أخي" وغرضه لفت الإنتباه ولوم المتكبر. وفي البيت نفسه نجد:

يا أَخي لا تَمِل بِوَجهِكَ عَنّي.....ما أَنا فَحمَة وَلا أَنتَ فَرقَد[2]

نجد النهي في قوله "لا تمل بوجهك عنّي" غرضه النصح.

وفي البيت 12 نجد الاستفهام في قوله "ألا تشتكي؟" وغرضه السخرية والتهكم.

الخيال:

[1] إيليا أبو ماضي: ديوان الجداول، ص 43.
[2] إيليا أبو ماضي، المصدر نفسه، ص 39.

وظف الشاعر جمال الطبيعة بشكل فني جميل، فجاءت صوره البيانية مؤثرة ومقنعة ومنها:

الطين: مجاز مرسل علاقته اعتبار ماكان، أثرها في المعنى تقريب الفكرة إلى الذهن وازدراء المتكبر، كما نجد في القصيدة التشبيه، إذ يعرِّفه "محمد الهادي الطرابلسي" «أما التشبيه فنعني به التقارب الذي يحدث بين موصوف والصورة الواصفة رغم انفصالهما في الأصل، وهذا يقتضي أن يكون الوجهان مستقلان أحدهما عن الآخر أي منفصلان في عرف التجربة البشرية كما يقتضي من ناحية أخرى داعيا يسمح بوضوح الوجهين على صعيد واحد أو أكثر من داع، بدونه يكون التصوير تشويها وتظليلا»[1].

فنجد التشبيه في قوله:

وَلِقَلبي كَما لِقَلبِكَ أَحلا ..... مٌ حِسانٌ فَإِنَّهُ غَيرُ جَلمَد

المشبه: قلبي.

أداة التشبيه: "كما" الكاف.

وجه الشبه: أحلام حسان

ونجد تشبيه بليغ في قوله

"ما أَنا فَحمَة وَلا أَنتَ فَرقَد"

شبه الإنسان البسيط بالفحمة والمتكبر بالفرقد.

فالفحمة أصلها سوداء داكنة ملقاة في الأرض لا يلفت إليها بال، أما الفرقد فذو نور ساطع معلق في سماء الكون ويستدل الناس به في طريقهم وسفرهم.

كما أن للإستعارة محلا في هذه القصيدة، إذ تعتبر من أهم العناصر التي تبنى عليها الصورة الشعرية بل هي وسيلة ضرورية للإدراك الجمالي والتشكيل الفني، فقد أولاها النقاد قديما وحديثا عناية خاصة باعتبارها عنصرا أساسيا. عرّفها الجاحظ وعبد القاهر الجرجاني الذي حاول أن يقيم تصوّر الإستعارة أنضج من التصورات السابقة فهي عنده «طريقة من طرق الإثبات عمادها إدعاء، فأنت في قولك "رأيت أسدًا" تدّعي في الرجل

[1] الجرجاني: دلائل الإعجاز، دار المعرفة، بيروت، 1982، ط2، ص 281.

أنه ليس برجل وإنما هو أسد، ومرادك بأن تثبت للرجل صفات الأسد وتدّعي بأن بلغ شجاعته مبلغ الأسود»[1].

فنجد الإستعارة المكنية في قوله:

وهو للشهب تستحم به .....في الصيف ليلا كأنها تتبرد[2]

ونجد في البيت الأول من القصيدة كناية عن الغرور والتكبر في قوله:

"فصال تيها وعربد"

بالإضافة إلى هذه الصور البيانية الجزئية رسم الشاعر صورة كلية تتمثل في رسم لوحة فنية للمتكبر تمثل هذا الشخص يمشي في زهو، تكسو جسمه الملابس الثمينة ويمتلئ كيسه بالنقود.

المحسنات البديعية:

الطباق: «هو عند النقاد القدامى الجمع بين الضدين في النثر وفي الشعر ويسمى المطابقة، التضاد، والتكافؤ »[3].

نجد الطباق في عدة مواضع من البيت فمثلا في البيت الثالث بين لفظتي فحمة وفرقد وفي البيت العاشر بين لفظتي التلاشي والخلود وفي البيت السادس بين لفظتي الموشاة والرديم.

الجناس: «المجانس والمجانسة في اللغة هي المشاكلة والمشابهة أما المعنى الإصطلاحي فهي تعني تشابه اللفظين في النطق تشابها تاما أو جزئيا واختلافهما في المعنى»[4]

فنجده في البيت الثاني بين لفظتي "كسا وكيس" وهو جناس ناقص.

كما نجد المقابلة في البيت الرابع عشر بين:

أَنتَ مِثلي يَبَشُّ وَجهُكَ لِلنُعمى..... وَفي حالَةِ المَصيبَةِ يَكمَد

الموسيقى:

[1] الطرابلسي محمد الهادي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، (د ط)، منشورات الجامعة التونسية، 1985، ص 142.
[2] إيليا أبو ماضي، الجداول، ص 43.
[3] جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، دار الثقافة للطباعة والنشر، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1974، ص 172.
[4] جابر عصفور، المصدر السابق، المصدر السابق، ص 173.

يعد الإيقاع الموسيقي عنصرا هاما من عناصر الشعر بما يحتويه من وزن وقافية وغيرهما من مصادر الإيقاع الشعري.

والموسيقى الشعرية هي الصفة المميزة للشعر عن النثر من خلال الإيقاع النغمي الذي تصبغ به الألفاظ، فتكون أكثر وقعا وانسيابا مع أوتار النفس.

فيعرفها محمد النويهي بقوله «إن الموسيقى هي التي تمكن ألفاظ الشعر من تحدي عالم الوعي أو الوصول إلى العالم الذي يتجاوز حدود الوعي التي تقف دونها اللفاظ المنشورة»[1] وفي هذا المضمار يقول إبراهيم أنيس«إن للشعر نواحي عديدة للجمال لكن أسرعها إلى نفوسها ما فيه من جرس الألفاظ وانسجام في التوالي والمقاطع وتردد بعضها بقدر معين، وكل هذا ما نسميه بموسيقى الشعر»[2]. فالتكرار اللفظي لبعض المفردات يعتبر موسيقى داخلية مثل "الطين والطين، أماني وأمانيك"، وتكرار بعض الحروف المهموسة مثل حرف السين في "نسي، ساعة" تكرار الإستفهام وعبارة أنت، والأمر في عدة ابيات، مما يدلّ على جوّ النقاش الهادئ المقنع والهادف. أما الموسيقى الخارجية فنجدها في استعمال الشاعر للبحر الخفيف:

فَاْعِلاتُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاْعِلاتُنْ .....فَاْعِلاتُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاْعِلاتُنْ

القافية: عربد

أما الروي هو الدال الساكنة.

أبرز قيمة في النص هي: القيمة الإجتماعية المتمثلة في دعوة الشاعر للإنسان إلى نبذ التكبر حتى يعمّ التعاون والتواد والتراحم في المجتمع، ثم القيمة الإنسانية حيث وجّه هذه الدعوة للإنسانية جمعاء في كل مكان وزمان.

ثم قيمة فنية تتمثل في الرومانسية والصور الخيالية وحسن استعمال الموسيقى الداخلية.

[1] محمد النويهي: قضية الشعر الجديد، مكتبة الخارجي ودار الفكر، 1971، ص 31.
[2] إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، ط3، مكتبة الأنجلو مصرية، 1965، ص 09.

III- 1 – ب- تحليل قصيدة الحجر الصغير:

سَمِعَ اللَيلُ ذو النُجومِ أَنيناً .....وَهوَ يَغشى المَدينَةَ البَيضاءَ
فَإِنحَنى فَوقَها كَمُستَرِقِ الهَم.....سِ يُطيلُ السُكوتَ وَالإِصغاءَ
فَرَأى أَهلَها نِياماً كَأَهلِ ال .....كَهفِ لا جَلبَةً وَلا ضَوضاءَ
وَرَأى السَدَّ خَلفَها مُحكَمَ البُن.....يانِ وَالماءَ يُشبِهُ الصَحراءَ
كانَ ذاكَ الأَنينُ مِن حَجَرٍ في ال.....سَدِّ يَشكو المَقادِرَ العَمياءَ
أَيُّ شَأنٍ يَقولُ في الكَونِ شَأني .....لَستُ شَيئاً فيهِ وَلَستُ هَباءَ
لا رُخامٌ أَنا فَأَنحَتُ تِمثا.....لاً وَلا صَخرَةٌ تَكونُ بِناءَ
لَستُ أَرضاً فَأَرشُفُ الماءَ .....أَو ماءً فَأَروي الحَدائِقَ الغَنّاءَ
وَلَستُ دُرّاً تُنافِسُ الغادَةُ الحَس.....ناءُ فيهِ المَليحَةَ الحَسناءَ
لا أَنا دَمعَةٌ وَلا أَنا عَينٌ .....لَستُ خالاً أَو وَجنَةً حَمراءَ
حَجَرٌ أَغبَرٌ أَنا وَحَقيرٌ .....لا جَمالاً لا حِكمَةً لا مَضاءَ
فَلأُغادِر هَذا الوُجودَ وَأَمضي.....بِسَلامٍ إِنّي كَرِهتُ البَقاءَ
وَهَوى مِن مَكانِهِ وَهوَ يَشكو ال .....أَرضَ وَالشُهبَ وَالدُجى وَالسَماءَ
فَتَحَ الفَجرُ جَفنَهُ فَإِذا الطو.....فانُ يَغشى المَدينَةَ البَيضاءَ[1]

شرح بعض الألفاظ:

يغشى: يغطي.

الجبلة: أصوات مختلطة وضجيج.

الهباء: تراب دقيق لا يبدو إلا في ضوء الشمس.

الحدائق الغناء: الكثيرة العشب الملتف بالأشجار.

الخال: هنا بمعنى شامة سوداء في الخد.

مضاء: من مضي يمضي السيف.

[1] إيليا أبو ماضي: ديوان الجداول، ص 37-38.

الدجى: جمع دجية، الظلمة وحدها أو المصحوبة بغيم.

تلخيص مضمون القصيدة:

شخص الشاعر في القسم الأول الليل جاعلا إياه إنسانا عاقلا يدرك ويتكلم ويسمع وحين أسدل ظلامه على المدينة البيضاء سمع أنينا خافتا أصغى له باهتمام فوجد أهل المدينة قد ناموا نوم أهل الكهف لا حركة لهم ولا أصوات وخلف المدينة سد متين البناء مملوء الماء، وتبين له بعد إنصاته أن صاحب التوجع والأنين هو حجر صغير في السد يشكو حظه التعس و يعلن تبرمه وسخطه .

بعد هذا يحدثنا أبو ماضي بلسان الحجر فيقول: "أنا لست شيئا ذا أهمية ولم أكن حتى غبارا تذروه الرياح ولست رخاما أو صخرا صالحا للبناء ولا أرضا خصبة تسقى لتنبت الزرع ولست ماء أروي الحدائق ولا درا ثمينا تتبارى الجميلات في اقتنائي و التحلي بي ولست عينا جميلة أو خالا يزين الوجه إنما أنا حجر يعلوه الغبار لا يتمتع بجمال أو حكمة أو مضاء".

وفي آخر القصيدة ينتقل الشاعر إلى بيان عاقبة الحجر الصغير ناطقا بلسان حاله إذ يقول : "يجب أن أغادر مكاني هذا من السد لأني سئمت الحياة ويحكى عنه أنه هوى من موضعه شاكيا مما أصابه من ذلة وهوان متذمرا من الكون كله، أرضه وسمائه وظلمته ونوره فلما تخلى عن مكانه تهدم السد فأغرقت مياهه المدينة البيضاء التي كانت تعيش في سعادة و هناء.

تحديد الفكرة العامة والأفكار الأساسية:

الفكرة العامة:

بناء المجتمع لا يتم إلا بتعاون أفراده ولا يستغنى عن أي فرد مهما كانت مكانته الإجتماعية.

الأفكار الساسية:

1- في مطلع القصيدة وصف الشاعر توجع الحجر وتألمه.
2- وأكمل حديثه عن إستسلام الحجر الصغير للقنوط واليأس.
3- ثم أعطى نتيجة لمغادرته مكانه.

مناسبة القصيدة:

الشعر عند أبي ماضي رسالة فيها الدعوة إلى الخير والحق والجمال، لهذا فالنص يندرج ضمن النزعة الإنسانية خصّ فيه الشاعر حديثه عن مكانة ودور الفرد في المجتمع.

هدف القصيدة:

يسعى الشاعر إلى تحقيق هدفين هامين هما:

1- رسالة إلى المجتمع يبين فيها حاجة الإنسان إلى أخيه الإنسان عظم شأنه أو صغر، والحفاظ على سلامة البشرية من النزعات الهدامة الداعية إلى التفريق والعنصرية والعداوة.
2- ورسالة إلى الفرد يبرز فيها أهمية المسؤوليات الموكلة إليه وإن صغرت في عينه، وعواقب التخلي عنها ما قد ينجز بذلك بالإخلال بنظام المجتمع وسلامته.

دراسة الأفكار

النص من الشعر الإجتماعي الذي ظهر في العصر العباسي لكن التطرق لمثل هذا الموضوع الإنساني ومعالجته بتشخيص المعاني عن طريق بعث الحياة في الطبية، كل ذلك جديد في نص أبي ماضي، لأننا نجد فيه نزعة إنسانية وحبا بالطبيعة وتأملا فيها وفي المجتمع والنفس البشرية التي يتصارع داخلها الخير والشر فتخيل المدينة السعيدة (البيضاء) وراء سد متراص الأحجار كبيرها وصغيرها يشدُّ بعضه بعضا يختزن المياه مصدر الحياة والرخاء لأهل المدينة ويتخيل الليل المخيم عليها ينصت لأنين حجر صغير في جدار السدِّ مستسلما ليأسه يريد أن يتخلى عن مكانه فلما فعل تداعى تماسك أحجار السد فأغرقت مياه السدّ المتهدم المدينة التي أصبح منكوبة.

وفي تماسك أحجار السدّ رمز المسؤوليات والمهام المكتملة التي هي سرّ سعادة أفراد المجتمع المتآخين المتعاونين يؤدي كل من دوره ويتبادلون الإحترام، فإن لم يكونوا كذلك وأهين بينهم ذو المكانة البسيطة أصاب اليأس أولئك الضعفاء البسطاء وتخلوا عن دورهم في المجتمع فيختل توازنه ويصيب الخسران والهلاك الجميع.

فأفكار النص واضحة ميسورة الفهم فلا تعقيد ولا غموض فيها، لكن بعد فهم ما يرمز إليه الشاعر وهي إلى ذلك افكار شديدة الترابط تمثل كلاً متماسكا في وحدة موضوعية وعضوية، فالغرض المطروق واحد، والبيات كأنها نسيج متلاحم يختل المعنى فيها إن زحزح أحدها عن مكانه وهذا ما دعا إليه الشعراء المجددون في العصر الحديث، أما من حيث العمق فإن الأفكار عميقة لتشخيصها الحالة النفسية لهذا الإنسان الذي يعيش في المجتمع لا يلتفت إليه ولا يعرف له قيمة.

العاطفة: يلاحظ أن العاطفة في هذه القصيدة إشفاق وتحسر على هذا الإنسان الضعيف (الحجر الصغير).

فالقارئ لهذه القصيدة يتجاوب مع الشاعر في رثائه لحالة هذا المسكين، فالعاطفة إدن نراها إنسانية نبيلة وقوية صادقة لأن الشاعر استطاع أن ينقل إلى المتلقي تجربته فيجعله

مشاركا له فيها وسبيله إلى ذلك التعبير البسيط والصور الجميلة والطريقة القصصية الجدابة.

الأسلوب:

أسلوب الشاعر ذو تعابير وألفاظ هي غاية في البساطة يعني ويهتم بالفكرة عمقا ووضوحا أكثر من عنايته بالأسلوب وقد اختار السلوب القصصي واتقى ألفاظا عذبة موحية رغم بساطتها مثلما ترى في الكلمات التالية (أنين) الموحية باللم والتوجع و(البيضاء) المشيرة إلى السعادة و(الطوفان) الموحية بهول الكارثة والتهديم الشامل.

وخيال الشاعر كان واسعا يتمثل في رسمه لوحتان تنبضان حياة، الأولى هي الليل المنصت للأنين، والثانية هي الحجر الصغير وتشاؤمه وشكواه، وكل لوحة منها تتألف من صورة جزئية، فالليل إنسان يسمع وينحني ويرى ، والحجر الصغير إنسان تعيس الحظ حقير، يريد مغادرة الكون والحياة، لكرهه البقاء فيها، والفجر إنسان يفتح جفنيه ويصحو من نوم عميق.

فالأسلوب الخبري هو الغالب على النص يلائم السرد القصصي، وحديث الطبيعة على نفسها، وغرضه البلاغي إبداء الحسرة والإشفاق، مع وجود الأسلوب الإنشائي الذي ورد منه نوعان:

الإستفهام: نجده في البيت السادس، أي شأن في الكون شأني؟

وغرضه إبداء الضجر والملل، والعزم على الإنسحاب من الحياة.

ونجد صورة بيانية في البيت الأخير من القصيدة "فتح الفجر جفنيه" على سبيل الإستعارة المكنية.

فالفجر= مشبه، والإنسان المشبه به محذوف رمز إليه: (فتح جفنيه)، وفي ذلك تجسيد معنوي (الفجر) في صورة حسية نقلت إلينا المعنى واضحا جليا.

أما التشبيه فيتجلى في قوله"أهلها نياما كأهل الكهف"

المشبه به: أهل الكهف.

المشبه: أهل المدينة.

وجه الشبه: النوم.

أداة التشبيه: ك.

نجد الشاعر في هذه القصيدة لم يهتم بالجانب البديع لأنه اهتم بالفكار وتعميقها بالدرجة الأولى ولم يلتفت إلى جانب الزخرف البديعي.

واختار الشاعر بحر (الخفيف) الممتد التفعيلات، والقافية المختومة باللف الممدودة لتتلائم موسيقاها مع ترجيع التأوهات والأنين، وأجزاء الخفيف هي:

فَاْعِلاتُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاْعِلاتُنْ .....فَاْعِلاتُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاْعِلاتُنْ

الأفكار والقيم:

يبدو أبو ماضي في هذا النص إنساني النزعة، متأملا فيما حوله من الناس والطبيعة، فوظف ذلك في خدمة الحق والخير ودعوة الناس إليها، وفي النص قيمة إجتماعية إنسانية هي وجوب التعاون والإحترام المتبادل بين أفراد المجتمع، على اختلافهم في درجاتهم في السلم الإجتماعي. ومن الناحية الفردية فإن أبو ماضي يرى أن التذمر وعدم التحلي بالتفاؤل والثقة بالنفس مرض فردي قد يجر وراؤه عواقب وخيمة على المجتمع ككل يجب علينا مكافحته ولذلك يجب على كل شخص أن يملأ صدره بالتفاؤل وأن يعتز بمكانته ومهنته وأن يدرك قدر مسؤولياته بين المجتمع مهما صغر شأنها، لأن كل ذي مهنة شريف مادام الناس في حاجة إليه. وتظهر في القصيدة قيمة فنية هي الإتجاه الرومنسي والنزعة الإنسانية، وبعث الحياة في الطبيعة والرمز بها لصياغة التجربة الشعرية إلى عناية بالفكرة أكثر من العناية بالسلوب واللجوء إلى تبسيط اللغة والتعبير.

خاتمة

خاتمة

بعد مشوار بحثنا الطويل وبعد الدرس والتحليل تجلت لنا جملة من النتائج أهمها: أن الشاعر إيليا أبا ماضي يعد وبحق علما من أعلام الشعر العربي قديما وحديثا إلى ونلمس ذلك في قول الشاعرة فدوى طوقان « إنني أرفع ماضي إلى القمة ولا أفضل عليه شاعرا عربيا آخر لا في القديم ولا في الحديث، فالشعر العربي لم يعرف له من نظير»

وقد توصلنا في الأخير إلى تحديد بعض مميزات شعر إيليا أبو ماضي منها:

- أعتبر الأدب رسالة فيه دعوة إلى الحق والخير.
- كان يجسد المبادئ الرومانسية وسهولة اللغة والبعد عن التعقيد، مجسدا العناصر الطبيعية كالبحر والقمر وغير ذلك.
- إن الطبيعة في شعر إيليا أبي ماضي لم تكن مجرد تعبير أو وصف للبيئة بقدر ما كانت بمثابة الأم الحنون التي لجأ إليها الشاعر وألقى همومه إليها.
- كان يكتب قصائده بكل شجية ورومانسية، وكانتا مطبوعتين بطابع الحياة.
- استعمل الشاعر صورا كثيرة أهمها الرمز الذي كان يستوحي أطرافه من الطبيعة إضافة أن لغته كانت ملائمة ومتماشية مع الغرض الذي وضعت من أجله.
- التوليف بين نفسية الشاعر والطبيعة بحيث يغدو الشاعر عنصرا في الطبيعة وتغدو الطبيعة عنصرا في الشاعر.
- وقد أسهم في إثراء القصيدة العربية، وطبعها بخصوصيات جمالية مميزة شكلت منه واحد من بين الشعراء الذين عبروا عن الطبيعة وفق أداة فنية رائعة.

وأخيرا نتمنى أن نكون ببحثنا هذا قد أنرنا زاوية من زوايا أدبنا العربي وقدمنا بعض المعلومات المفيدة آملين أن تتاح الفرصة لمن يأتي بعدنا من زملائنا الطلبة الباحثين فيسدوا النقص في عملنا هذا المتواضع لأننا تؤمن جازمين أنه لكل شيء إذا ما تم نقصان...

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أ- المصادر

1) ديوان ابن شهاب العلوي، دار التراث اليمني ،صنعاء ،مكتبة التراث الإسلامي ،1996
2) ديوان البحتري -أبو العبادة بن الوليد-، شرح يوسف الشيخ محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987م
3) ديوان الحطيئة بن أوس العبسي، بشرح ابن السكيت و السكري و السجستاني، تحقيق نعمان أمين طه،2009
4) ديوان الطرماح بن الحكيم بن الحكم، منشورات وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، دمشق،(د.ط) 1968
5) ديوان القروي،دار الحرية للطباعة والنشر،ط1 مجلد 1 ،1973
6) ديوان أبو دؤاد الإيادي، تحقيق الدكتورة أنوار محمود الصالحي ،والدكتور أحمد هاشم السامراني ،دار العصماء،دمشق،2010
7) ديوان أوس بن حجر، تحقيق محمد يوسف نجم ،نشر بدار بيروت ،عام 1980
8) ديوان إبن زيدون، بيروت، لبنان، دار صادر، 2006
9) ديوان إيليا أبو ماضي -الجداول- ، دار كتاب وكتاب، بيروت، لبنان، 1988
10) ديوان إيليا أبو ماضي، دار العلم الملايين، ط2، بيروت
11) ديوان حسان بن ثابث، تحقيق سيد حنفي حسين، دار المعارف، مصر،(د.ط)، 1983م
12) ديوان طرفة بن العبد، تحقيق فوزي عطين، دار صعب، بيروت، 1980م
13) ديوان عبيد بن الأبرص الأسدي، دار صادر، بيروت،(د ط) (د ت)
14) ديوان كعب بن زهير، تحقيق محمد يوسف النجم، دار صادر، بيروت، ط2، 2002
15) ديوان لبيد بن ربيعة العامري، بيروت لبنان، دار صادر، ط2، 2008،
16) ميخائيل نعيمة، همس الجفون

ب-المراجع

1) الجرجاني: دلائل الإعجاز، دار المعرفة، بيروت، 1982، ط2
2) الشابي، أغاني الحياة ، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية، ط4،2005
3) الطرابلسي محمد الهادي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، (د ط)، منشورات الجامعة التونسية، 1985
4) المعوش سالم، الأدب العربي نمادج ونصوص، دار المواسم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1999م
5) أبو قاسم محمد كرو: كفاح الشابي، 1904
6) أبو ماضي، تذكار الماضي ،دار العلم الملايين ،بيروت ،ط2
7) أحمد فلاق عدوات، تطور شعر الطبيعة بين الجاهلية والإسلام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر
8) أنس داود: الطبيعة في شعر المهجر. "منشورة في صحيفة العروبة" في 23 نوفمبر 2010.
9) إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، ط3، مكتبة الأنجلو مصرية، 1965

10) إبن عصفور أبو الحسن الإشبيلي، ضرائر الشعر، شرح خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1991م
11) إبن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد شاكر، دار المعارف مصر،1966م،ج1
12) إحسان عباس، الشعر العربي في المهجر، ط2، دار صادر- بيروت-1967
13) جابر عصفور، الصورة الفنية في الثراث النقدي والبلاغي عند العرب، دار الثقافة للطباعة والنشر، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1974
14) جميل جبر: جبران خليل جبران في حياته العاصفة، مؤسسة نوفل، لبنان، 1981، ط1
15) جورج صيدح: أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، ط3، دار العلم للملايين، بيروت
16) حسن جاد الله، الأدب العربي في المهجر، دار قطري بن الفجاءة، قطر، 5د ط- 1985م
17) حسين علي أحمد، أحمد زلط، الأدب العربي الحديث، الرؤية والتشكيلة، ط1، 2000
18) حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجيل
19) رجاء عيد، لغة الشعر قراءة في الشعر العربي الحديث، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د.ط) 2003م
20) زهير ميرزا، إيليا أبو ماضي، شاعر المهجر الأكبر،ط2، الجناح الثقافي بدار اليقضة العربية،
21) شوقي ضيف، دراسات في الشعر العربي المعاصر، دار المعرفة، مصر، ط1، 1993م
22) صالح بن علي الحامد العلوي: نسمات الربيع ، لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، 1355 هـ
23) صفوة نجدة فتحي، إيليا أبو ماضي والحركة الأدبية في المهجر
24) عباس إحسان ونجم محمد، الشعر العربي في المهجر
25) عبد الحليم بلبع: التجديد الشعري في المهجريين النظرية والتطبيق، دار الزيبني للطباعة، د م، دت، د ط،
26) عبد المجيد الحر، إيليا أبو ماضي، باعث الأمل ومفجر ينابيع التفاؤل، دار الفكر العربي، بيروت،ط1،1995م
27) علي الطنطاوي، صور من الشرق، مؤسسة المطبوعات العربية، دمشق 138، عام 1960م
28) عمر الدقاق، ملامح الشعر المهجري، مطبعة جامعة حلب
29) عوين أحمد، الطبيعة الرومانسية في الشعر العربي الحديث، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية،ط1،2001م
30) عيسى الناعوري، أدب المهجر، دار المعرفة، مصر،ط3، 1977م
31) محمد النوهيبي، الشعر الجاهلي، منهج في دراسته وتقويمه، ترجمة أحمد نعيم الكراعين، دار المعرفة، الإسكندرية،(د.ط) ج1، 1985م
32) محمد النويهي: قضية الشعر الجديد، مكتبة الخارجي ودار الفكر، 1971
33) محمد عبد المنعم خفاجي، أشعار الشعراء الست الجاهلين، ج2،ط1،1954، المطبعة المنيرة بالأزهر
34) محمد عبد المنعم خفاجي، مدارس النشر الحديث، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2004م
35) محمد غنيمي هلال، الرومانتيكية، دار العودة، بيروت، (د.ط) 1969م
36) محمود حامد شوكت، مقومات الشعر العربي الحديث والمعاصر، دار الفكر العربي، (د.ط)،
37) مصطفى هدارة: التجديد في شعر المهجر، دار الفكر العربي، لبنان، ط1، 1987م

38) مندور محمد، في الميزان الجديد، دار النهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، (د ط)، (د،ت)
39) موهوب حدوش، النصوص المطولة للمطالعة الأدبية، ط 1999، 2000م، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية
40) نسيب نشاوي: مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ط 1984
41) نصار، حسين، في الشعر العربي، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، ط1،2002م

ج- المجلات والمذكرات

1) السعيد بوعون، إيليا أبو ماضي حياته وشعره، مذكرة التخرج. إشراف جامعة منتوري قسنطينة، 1982-1983
2) مجلة الجيش: العدد 221 تشرين الثاني 2003، إيليا أبو ماضي شاعر الطبيعة والعذوبة.
3) مجلة العصبة، كانون الأول (ديسمبر) 1937،

الفهرس

خطـــة البحث.....أ

مقدمة ..... ب

المدخل 4

I – الفصل الأول: الطبيعة في الشعر العربي. 12

I– 1 – الطبيعة في الشعر العربي القديم 13

I–2– الطبيعة في الشعر العربي الحديث: 19

II– الفصل الثاني: الطبيعة في شعر إيليا أبي ماضي. 30

II– 1– مدخل حول عصر أبي ماضي..... 31

II– 1– أ– الحياة الدينية: 31

II– 1– ب– الحياة السياسية: 31

II– 1– ج – الحياة الإجتماعية:..... 32

II– 1– د – الحياة الثقافية: 34

II– 2 – لمحة في حياة إيليا أبو ماضي: 36

II– 3 – تعريف شعر الطبيعة: 41

II– 4– الطبيعة في شعره: 42

II– 5– التوليف والتوافق بين الطبيعة ونفسية أبي ماضي:..... 47

II– 6– نماذج من شعره في الطبيعة:..... 50

III– الفصل الثالث: دراسة فنية في ديوان الخمائل 62

III– 1 – اللغة، الموسيقى، الصورة، الشعر..... 63

III– 1 – أ– تحليل قصيدة الطين. 63

III– 1 – ب– تحليل قصيدة الحجر الصغير:..... 70

خاتمة 76

المصادر والمراجع..... 78

أ- المصادر..... 78
ب-المراجع..... 78
ج- المجلات والمذكرات 80
الفهرس..... 81